



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية وآدابها

قسم الدراسات العليا

فرع الأدب والبلاغة

## توظيف الشعر الجاهلي الرسالة اديوانة وإله وانبة الأندلسية في القرن اذ من العجري

رسالة مقامة لبل طارة المستير

فله اللغة العربية وآدابها اخصر لأطاب

إعداد الطالبة :

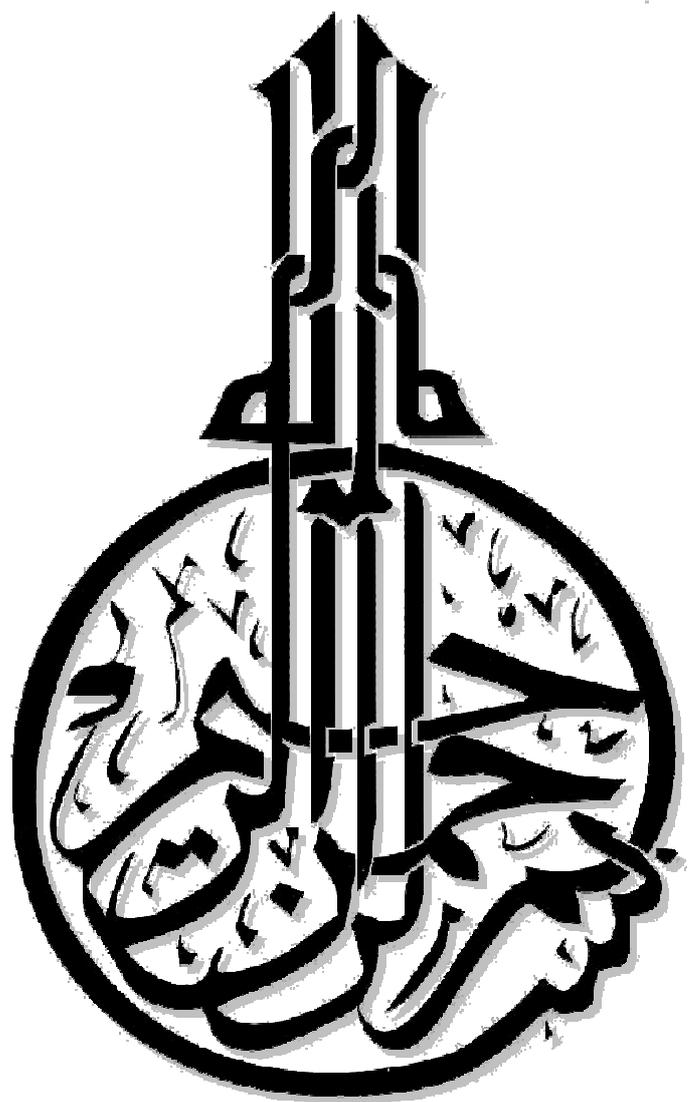
رانيا ضياء (الغابري)

الرقم الجامعي (٤٢٤٨٠٢١٦)

إشراف

أ.م.ع. حيدر الدين (الغابري)

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م



# ملخص الرسالة

**عنوان الرسالة :** ((توظيف الشعر الجاهلي في الرسائل الديوانية والإخوانية الأندلسية في القرن الخامس الهجري))  
بحث مقدم لقسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي .

**اسم الباحثة :** ريم صالح علي الغامدي .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

**خطة لموضوع :**

**التمهيد :** معنى التوظيف .

أ - ماهية التوظيف .

ب - جذور التوظيف

ج - أنواعه .

**الفصل الأول :** الرسائل الديوانية التوظيف الكلي والجزئي :

المبحث الأول : التوظيف الكلي .

المبحث الثاني : التوظيف الجزئي .

**الفصل الثاني :** الرسائل الأخوانية التوظيف الكلي والجزئي :

المبحث الأول : التوظيف الكلي .

المبحث الثاني : التوظيف الجزئي .

**الفصل الثالث :** أثر توظيف البيت الشعري في الكاتب والمضمون :

المبحث الأول : أسباب تعلق الكاتب بالشعر الجاهلي .

المبحث الثاني : أسباب التوظيف .

المبحث الثالث : سمات التوظيف في التشكيل البنائي للرسالة .

المبحث الرابع : الأثر الموظف بين الإيجاب والسلب .

المبحث الخامس : الأغراض التي وظفها الأندلسيون في رسائلهم والخاتمة ، وأبرز النتائج .

**هدف الدراسة :**

تهدف الدراسة إلى الاهتمام بظاهرة التوظيف وأثرها في أدب الرسائل الديوانية ، والإخوانية الأندلسية ، ودراسة عدد وافر من الرسائل ؛ لبيان أثر التوظيف فيها واستخدامات الكتّاب المتعددة ، وما نتج عنه من اهتمامهم بالتراث المشريقي .

**النتائج :**

إن من أبرز نتائج هذا البحث إعجاب الكتّاب الأندلسيين واهتمامهم بالتراث المشريقي وحسن انتقاء الأبيات الشعرية المميزة في رسائلهم النثرية ، وظهور شخصية الكاتب الأندلسي في استرفاد البيت الشعري وربطه بغرض الرسالة .

**التوصيات :**

توصي الدراسة بالاهتمام بظاهرة التوظيف ؟ بكل أنواعه ، توظيف الأمثال ، الشخصيات وتوظيف الأشعار وغيرها ، الاهتمام بالنثر الأندلسي بصفة عامة وأدب الرسائل على وجه الخصوص .

عميد كلية اللغة العربية

المشرف

الطالبة

أ.د. عبد الله القرني

أ.د. عبد الله الزهراني

ريم صالح الغامدي

## الإهداء

إلى من حمل معي فأس الأمل، ليجتث به الأشواك  
في طريقي . . .

إلى والديّ العزيزين . . . . .

إلى نروحي عبد الرحمن . . .

إلى أبنائي حلا وفؤاد .

أقدم هذا البحث

## الشكر والتقدير

أود أن أشكر كل من ساعدني ووقف بجاني ليظهر هذا العمل إلى حيز الوجود ...

إلى أساتذتي وزميلاتي شكراً جزيلاً لكم ..

✽ إلى أستاذي ومعلمي د . طيب أحمد الحارثي ، الذي أخذ بيدي وأنار لي طريق هذا البحث الطويل ... وأشكر له تسهيل نقل إشرافي إلى أستاذي الفاضل سعادة الدكتور / عبد الله إبراهيم الزهراني الذي نهلت من علمه ... وأفدت من أدبه الشيء الكثير ...

✽ إلى سعادة الدكتورة / أمل العميري التي بسعة صدرها ، وتواضعها الجمّ سهلت لي الكثير من الصعاب فشكراً جزيلاً لها .

✽ إلى سعادة الدكتورة / عزيزة مغربي التي بخلقها النبيل ورحابة صدرها كانت نعم المثال والقُدوة الحسنة .

✽ إلى الصديقة الأستاذة / ابتسام الصبحي التي صادقت معي خطوات بحثي الأولى وذللت لي الكثير من صعوباته .

شكراً جزيلاً لكم،،، وجزاكم الله خيراً،،،،

الباحثة

بسم الله الرحمن الرحيم

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم  
أجمعين ،، وبعد ،،

يُعد الأدب الأندلسي من الميادين الثرة التي تصلح أن تكون من ميادين الدرس الأدبي ،  
وللنشر تاريخ يشهد بعراقته ، وجودة ما كُتب فيه من رسائل نثرية ، أثارت بقوة إتقان كتابها  
المجيدين جدلاً واضحاً بين الدارسين حديثاً ، حيث يعد كتابها من أشهر شعرائها المرموقين  
الذين أجادوا ضروب البيان والتمسك بهذا النهج الراقى في سياق رسائلهم .

وغالباً ما كان يُنظر للأدب الأندلسي بأنه مجرد صدى للأدب العربي في المشرق ، وقد  
أخذت هذه القضية طابع المسلمات والحق أن الأدب الأندلسي ليس تابعاً للأدب المشرقي ،  
وليس منفصلاً عنه لسبب بديهي ؟ لأنه جزءٌ من ذلك الأدب العربي .

ويرى الدكتور مصطفى الشكعة<sup>(١)</sup> عدم وجود أي تطور يصيب الرسائل الأندلسية ،  
وإنها ظلت تسير في ركاب قرينتها المشرقية واقتفاء أثرها وقد أثار في رغبة الخوض في مجال النشر  
والتوغل في أعماق هؤلاء الكتاب المبدعين وما نقلوه من توظيفات راقية للتراث المشرقي تمثلت  
في أشعار الجاهليين .

ثم إنني لم أجد أي دراسة للرسائل الأندلسية في القرن الخامس تتعلق بظاهرة توظيف  
الشعر وعلى رأسه الشعر الجاهلي ، فأردت يبحثي هذا أن أثبت إعجاب الكتاب الأندلسيين  
بالتراث المشرقي ، على الرغم من اختلاف توجهاتهم الفكرية والأدبية ، فمنهم من نظر بعين  
الاعتبار للشعر الجاهلي على أنه محرك للرسالة والمحور الذي أقام فكرته عليها ، وأثبت به  
الحجة ، ومنهم من أعجبوا بهذه الهالة المشرقية من الإبداع فزينوا بها مقدمات رسائلهم ، وختموا  
بها رسائلهم النثرية الإخوانية منها والديوانية .

وقد ارتأيت دراسة ( القرن الخامس ) لما لهذا القرن من الأهمية حيث نشاط الحركة

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٧ ، ١٩٧٣م ، ص ٥٧٢ .

العلمية والأدبية والفكرية والثقافية ، وتطورها تطوراً واسعاً ، بحيث يمكن القول أن صورة الأدب الأندلسي - في هذا العصر - اكتملت أو بلغت مرحلة من التطور الراقي <sup>(١)</sup> .

وقد أشار إلى ذلك الكثير من الدارسين الذين توجهوا إلى هذا القرن واهتموا بالتطور الفكري والأدبي فيه .

ولم أجد دراسة متخصصة في هذا الميدان ، ولكن توجد دراسات عامة بالنثر والشعر ، أفدت منها في مكتبة البحث من أهمها :

أ- **دراسات عامة** : يُعنى بها دراسات شملت الأدب الأندلسي ووجهت نظرها بشكل أو بآخر إلى فن الرسالة فيها :

١- تاريخ الأدب الأندلسي ( عصر سيادة قرطبة وعصر الطوائف والمرابطين ) تأليف : د. إحسان عباس ، تحدث فيه عن ألوان الرسائل الأدبية ولم يتطرق للإخوانية فيها .

٢- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، د. مصطفى الشكعة ، وقفت فيه الدراسة عند نصين من الإخوانيات الأولى ( لابن حزم ) والثاني فقرات من رسالة ابن زيدون الجدية والهزلية دون تفصيل القول في ذلك .

٣- الأدب العربي في الأندلس ، د. عبد العزيز عتيق ، تناولت فيه دراسة شاملة لمختلف الآداب ولم تظفر الرسائل إلا بحيز ضيق من الدراسة .

#### ب- دراسات خاصة :

١- الرسائل الإخوانية عند كتاب الأندلس في القرن السادس الهجري ، محاورها المضمونية ، وسماها الشكلية ، للباحثة ابتسام علي الصبحي ( رسالة ماجستير ) من جامعة أم القرى ، ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ ، وفيها فصلت الباحثة القول في أهم المحاور المضمونية والأساليب الفنية والتعريف بأهم أعلام الرسائل الإخوانية في القرن السادس الهجري .

٢- الرسالة الأدبية في النثر الأندلسي ، د. فوزي عيسى ، وتوقفت الدراسة عند أشهر رسائل الموضوعات الأدبية الطريفة كرسالة التوابع والزوابع لابن شهيد ، والزرزوريات ، وأفرد للكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال مجالاً طويلاً للدراسة .

(١) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، د. إحسان عباس ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٧٨م ، ص ١٠٧ .

٣- أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري ، د. فايز عبد النبي القيسي ، عنت فيه الدراسة بموضوعات أدب الرسائل الكثيرة وتصنيفاتها العديدة وخصائصها الفنية .

٤- توظيف التراث في الشعر السعودي المعاصر ، للباحثة أشجان هندي<sup>(١)</sup> ، وعرضت فيه الباحثة لأثر الموروث الأدبي - فصيح - شعبي ، وأسطورة - عند أحد عشر شاعراً من شعراء الشعر السعودي .

٥- استيحاء التراث في الشعر الأندلسي ( عصر الطوائف والمرابطين ) للدكتور / إبراهيم منصور الياسين ، وهو يهدف إلى إبراز الأبعاد التراثية وأثرها في تجارب الشعراء .

٦ - أثر الموروث الشعري القديم في ديوان الشعر السعودي الحديث ( شعر المحافظين ) أطروحة للدكتور / طيب أحمد الحارثي ، حصل فيها الباحث على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٢٠هـ - ١٤٢١هـ .

وهي دراسة لتقصّي التراث الشعري القديم في آثار في شعر المحافظين السعوديين ( الحديث ) والتعرف على حقيقة الأثر من خلال تحديد طبيعة العلاقة بين المؤثر والمتأثر ، والكشف عن الكيفية التي تمت بها معالجة الشعر ، ومدى إفادة الشعراء من الموروث الشعري .

أما المصادر الأساسية للدراسة هي : كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني بالإضافة إلى كتاب رسائل ابن أبي الخصال ، وكتب التراث الأندلسي القديم ودوواين الشعراء الجاهليين ومجموعاتهم الشعرية .

ومنهج الدراسة يعتمد على المنهج الاستقرائي الوصفي تارة ، والتحليلي الذي يعتمد على قراءة الرسائل النثرية ومحاولة استخراج التوظيفات والوقوف على أثرها .

وقد اقتضت خطة البحث بعد تعديلات عدة أن تكون على ثلاثة فصول سبقت بمدخل أشرت فيه إلى :

أ- ماهية التوظيف .

---

(١) الناشر النادي الأدبي بالرياض ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، وحصلت فيه الباحثة على درجة الماجستير من جامعة الملك سعود .

ب- جذوره .

ج- أنواعه .

الفصل الأول : وتناولت فيه الدراسة ( الرسائل الديوانية بنوعي التوظيف الكلي والجزئي) .  
وأُتيت بنماذج لأشهر رسائل أدباء القرن الخامس التي حوت على الشعر  
الجاهلي في ثناياها .

أما الفصل الثاني : تناولت فيه الدراسة للرسائل الإخوانية بنوعي التوظيف أيضاً الكلي والجزئي.  
أما الفصل الثالث : فهو أثر توظيف البيت الشعري في الكاتب والمضمون وأدرجت تحته خمسة  
مباحث :

الأول : أسباب تعلق الكاتب بالشعر الجاهلي .

الثاني : أسباب التوظيف .

الثالث : سمات التوظيف في التشكيل البنائي للرسالة .

الرابع : الأثر الموظف بين الإيجاب والسلب .

الخامس : الأغراض التي وظفها الأندلسيون في رسائلهم

وأتبعت ذلك كله بخاتمة تضمنت مجمل النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة .

### **صعوبات اجهت لدراسة :**

- ١ - طول فترة الدراسة التي تمتد على مدى قرن كامل ( القرن الخامس الهجري ) .
- ٢ - تعدد الكتاب وتنوع نتاجهم النثري من إخواني وديواني مما تتطلب جهداً في الجمع والتصنيف .
- ٣ - الصعوبة في فصل الرسائل وتصنيف الديواني منها عن الإخواني مما تطلب جهداً كبيراً وقراءة دقيقة .
- ٤ - عدم الحصول على بعض المصادر والمراجع المهمة لوجودها خارج المملكة مما جعل الحصول عليها عسيراً .

التمهيد :

معنى التوظيف

أ- ماهية التوظيف .

ب- جذوره .

ج- أنواعه .

أ- ما هية التوظيف :

التوظيف لغةً :

الوظيفُ في اللغة : مستدق الذراع ، والساق من الخيل والإبل وغيرها ، وجاءت الإبل وظيفاً : أي يتبع بعضها بعضاً<sup>(١)</sup> .

والوظيفةُ والمواظفةُ أي : الموافقة ، والموازرة والملازمة ، واستوظفه أي : استوعبه<sup>(٢)</sup> .

وجاء في اللسان : جاءت الإبل على وظيف واحد إذا أتبع بعضها بعضاً ، كأنها قطار .

وجاء يظفه أي : يتبعه ويقال : وظف فلان فلاناً يظفه وظفاً إذا تبعه مأخوذ من الوظيف<sup>(٣)</sup> .

وفي معجم مقاييس اللغة :

مر يظفهم أي : يتبعهم كأنه يجعل وظيفه بإزاء أوظفتهم<sup>(٤)</sup> .

فما دامت الوظيفةُ الموازرة ، ووظيفُ الساق كأنه يؤازره ويدعمه ؛ فالتوظيفُ أخذٌ بما يقوى ويعضد ويؤازر .

والأديب يعمد إلى توظيف ما يدعم فنه ويؤيد كلامه ، أي : يأخذ شيئاً ويضعه مكان أمر ما بصورة معينة لغرض معين .

---

(١) القاموس المحيط ، للعلامة مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، مادة (وظف) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، ج ٩ ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣٠٨ ، مادة (وظف) .

(٤) معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج ٦ ، ط ٢ ، مطبعة الحلبي ، ١٣٩٢هـ ، ص ١٢٢ ، مادة (وظف) .

## مفهوم التوظيف عند المعاصرين :

جاء التوظيف عند المعاصرين غير بعيدٍ عن الدلالة التي ذهبت إليها كثير من المعاجم ، فحمل شيئاً من ذلك ، ولكنهم استخدموه في الشعر وهذا أمرٌ طبيعي ، وفي هذا الصدد فرّق الدكتور علي عشري زايد بين نوعين من العلاقة بالموروث أولها : يتمثل في تسجيل التراث ، والثاني في توظيفه <sup>(١)</sup> .

ويرى أن الأول يُعنى بإكتفاء الشاعر المعاصر ، بدءاً من البارودي ، بإحياء الديباجة العربية في أزهى عصورها ، دون أن يوظف العناصر التراثية التي أحييتها مرحلة الإحياء الأولى .

أما النوع الثاني من العلاقة التي تربط الشاعر بالموروث فهو الذي لا يقف عند تسجيل التراث وإعادة صياغته ؛ بل إنه في مرحلة تالية يرتد إلى التراث لينطلق من جديد في رحلة مزوداً بالقيم الباقية والخالدة في هذا التراث ، بعد تجريدها من آنيتها وارتباطها بعصرٍ معين <sup>(٢)</sup> .

وما أشبه رجوع الإحيائيين في العصر الحديث إلى تراثهم القديم من أجل ما يستمدونه منه من قوة يكسبون بها حاضرهم ، ما أشبهه بصنيع الأدباء الأندلسيين ، لاسيما الكتاب منهم الذين أعجبوا بماضيهم المشرقي العريق ، فراحوا يسترفدون منه ما يخدم فنههم .

وقد يسمى التوظيف بمعنى استخدام معطيات التراث استخداماً فنياً إيجائياً ، وتوظيفها رمزياً لحمل أبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر .

وتتطلب منا الكتابة في ظاهرة التوظيف الوقوف أمام بعض المصطلحات التي قد تتداخل في مفهومها الخارجي أو الجمالي مع ظاهرة التوظيف ، وأبرزها :

١ - التناص : وقد فرق الدكتور علوي هاشمي بين التناص والتعلق النصي القريب من

التوظيف بقوله : إن التعلق النصي هو وجود علاقة بين نص شعري وسواه من

النصوص ، سواء كانت علاقة جزئية أم كلية ، إيجابية أم سلبية <sup>(٣)</sup> .

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢٥ بتصرف .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ظاهرة التعلق النصي ، كتاب الرياض ، ( ٥٢ - ٥٣ ) ، إبريل ، ١٩٩٨م ، ص ٢٩ .

٢- المفارقة : ( وهي ثمرة من ثمرات التماس مع نص آخر ، ولكنها لا تنحصر في هذا الإطار فحسب ؛ وذلك لأن رسائلها متعددة فهي تعبير لغوي بلاغي ، يركز على تحقيق العلاقة الذهنية المفارقة ، أو كلام يبدو على غير مقصده الحقيقي ، وقد يقوم على ثنائية المعنى الأول والمعنى الخفي ، وربما تصبح ظاهرة كلية تشمل المعنى الأول كله ، وهي قائمة على إدراك التعارض والتناص ورفض حرفية المعنى لصالح المعنى الآخر )<sup>(١)</sup> .

٣- المرافدة ، أو الاسترفاد : ( وهو أخذ الشاعر بيتاً من شاعر آخر كهبة )<sup>(٢)</sup> .

٤- كذلك يمكن للتوظيف أن يأتي بمعنى الأخذ ، كما عبّر الدكتور مصطفى عليان عن صورة ، وذكر منها :

أ- كشف المعنى وتحليلته .

ب- نقل المعنى إلى جهة أخرى أو صفة أخرى .

ج- حسن الأخذ للمعنى العقيم أو النادر .

د- خفاء الأخذ ، وهو ما يحتاج إلى إعمال فكر وروية<sup>(٣)</sup> .

٥- ونجد من ذكر التوظيف ، وإن أسماه مصالطة وهي ( أخذ الناظم بيتاً لغيره لفظاً ومعنى )<sup>(٤)</sup> .

٦- الاجتلاب : وهو أن يورد الشاعر في شعره بيتاً مشهوراً لغيره للتمثيل به<sup>(٥)</sup> .

---

(١) محاضرة للدكتور صالح الشنطي بعنوان التدايعات النصية وتحليلاتها في الشعر السعودي ، نقلاً عن رأي الدكتورة نبيلة سالم من مجلة فصول ، القاهرة ، مج ٧ ، ع (٣ ، ٤) ، ١٩٨٧م ، ص ١٣١ ؛ محاضرات المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين ، مكة من ٥-٧ شعبان ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م ، ط ١ ، ص ٢٧٨ .

(٢) مشكلة السرقات في النقد الأدبي دراسة تحليلية مقارنة ، للدكتور مصطفى هدار ، ط ٣ ، ١٤٠١هـ ، ص ١٦ .

(٣) تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس ، مصطفى عليان عبد الرحيم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ، ص ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ .

(٤) المعجم الأدبي ، لجبور عبد النور ، دار العلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩م ، ص ٢٥١ .

(٥) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، محمد رضوان الداية ، ج ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

وبهذا نجد عمق هذه الظاهرة وتداعيات عديدة حول معناها ، بينما نجد أن هناك اتفاقاً حول اختلافها الجذري عن الاستدعاء ، فالتوظيف أصبح مفردة من مفردات التداول لبعض المتطلبات المأخوذة من القديم بما يواكب صياغتها ، ونقل شيء قديم إلى حالة أو صورة معينة برؤية معاصرة .

## ب- جذور التوظيف :

لم يكن للأندلسيين قصب السبق في توظيف أشعار الجاهليين فلقد عُرف هذا التوظيف منذ عصور قديمة ، ( فاستعارة النص التراثي من أقدم صور العلاقة التي تربط الشاعر بموروثه ، وعرف الشعر العربي منذ أقدم العصور صوراً عديدة لتضمين الشعراء لأشعار أسلافهم ، وقصارى ما كانوا يفعلونه بالنسبة لهذه النصوص أن يتصرفوا في صياغتها مع الاحتفاظ بالمعنى التراثي الأساسي ، فأطلق نقدنا العربي على علاقة الشاعر بتراثه مصطلح السرقات الأدبية )<sup>(١)</sup> .  
وإن كثرة المصطلحات الحديثة لمعنى التوظيف وما يقارنها يخفف من حدة مصطلح السرقات الأدبية ، على الرغم من أنها ظاهرة عرفها نقدنا العربي بجلاء .

فقد يكون التوظيف ضرورة أساسية لإسقاط روح الأصالة على النص المراد التوظيف فيه ، فإذا أردنا أن ننظر في تراثنا لنرى بدايات هذا التوظيف فإننا نجد أنها منذ العصر الجاهلي ، ( فلقد كانت رسائل العرب في الجاهلية تزخر بعدد هائل من الأشعار المنسوبة لكبار الشعراء ، ولكن الرسائل المدونة التي وصلت إلينا سليمة الرواية وصحيحة غير مشكوك في صحتها قليلة جداً ، غير أن موضوعاتها تدور في فلك السياسة كرسالة النعمان بن منذر إلى كسرى ، ورسالة قيصر إلى امرئ القيس )<sup>(٢)</sup> .

وإن أول ظهور صريح للشعر في رسائل عصر صدر الإسلام - فيما نعلم - كان رسالة الاستغاثة التي كتب بها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وهو محصور في دار علي - رضي

---

(١) مجلة فصول ، توظيف التراث في شعرنا العربي المعاصر لعلي عشري زايد ، مج ١ ، ع ٢٤ ، أكتوبر ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ٢١١ .

(٢) انظر الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ، رسالة ماجستير لغاتم جواد رضا ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥م - ١٩٧٦م ، ص ٤٨ . وتاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية ، لخمود المقداد ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٢١٤-٢١٥ .

الله عنه - يقول فيها ( فأقبل إليّ ، أي أمرٍ يكن أحببت ، معي كنت أو عليّ ، صديقاً كنت أم عدواً )<sup>(١)</sup> .

فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي

وإلا فأدركني ولما أمـزق<sup>(٢)</sup>

أما العصر الأموي فحرص الكتاب فيه ، شأنهم شأن من سبقوهم ، على استظهار الشعر الجاهلي في رسائلهم ، لاسيما أن هذا العصر مدعاة للرقى من خلال الانفتاح على الثقافات الأجنبية ، ومن هذا العصر نجد هناك رسالة كتبها عبد الملك بن مروان إلى الحجاج لما هزم ابن الأشعث<sup>(٣)</sup> ( أما بعد فمالك عندي مثلٌ إلا قدح ابن مقبل )<sup>(٤)</sup> فلم يعرف الحجاج ماذا أراد الخليفة ، فكتب إلى قتيبة بن مسلم الباهلي يقول ( إن ابن مقبل من أهلك وقد كتب إليّ أمير المؤمنين بكذا فعرفني قدحه ) ، فكتب إليه قتيبة : ( إن هذا القدح فاز تسعين مرة ، فلم يخب فيها مرة واحدة حتى ضرب به مثلاً فقال ابن مقبل ينعته )<sup>(٥)</sup> :

خروج من العُمى إذا صكّ صكةً

بدا ، والعيون المستكفة تلمح

(١) تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام ، لمحمود المقداد ، دار الفكر العربي ، دمشق ، ط ١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص ٢٨٨ .

(٢) جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهية العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، لأحمد زكي صفوت ، ط ١ ، مطبعة الباني ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م ، ص ٣١٣ ، والبيت ، للمزق العبدى ، رواه الأصبغى في كتابه الأصبغيات ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، ط ٧ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٣م ، ص ١٦٦ ؛ وهناك رواية أخرى للبيت ( فإن كنت مأكولاً فكن خير آكلي ) .

(٣) أدب السياسة في العصر الأموي ، لأحمد الحوفي ، دار النهضة ، مصر ، ط ٢ ، ص ٤٢٩ - ص ٤٣٠ .

(٤) ابن مقبل : شاعر مخضرم ، وهو تميم بن أبي بن مقبل من بني عجلان ، أدرك الإسلام وكان يبكي الجاهلية . خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج ١ ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، ص ٢٣١ .

(٥) والأبيات من ديوان ابن مقبل ، تحقيق : عزة حسن ، مطبوعات دار إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م ، ص ٣٠ - ٣١ .

مفدى مؤدى باليدين ملعن

خليع لحام ، فائز متمنح

وفي العصر العباسي نجد ما ذكره عبد الله بن طاهر<sup>(١)</sup> وهو بيت تأبط شراً في رسالته التي وصف بها فرساً أهدها إلى المأمون ، يقول ابن طاهر : ( قد بعثت إلى أمير المؤمنين بفرس يلحق الأرانب في الصعداء ، ويجاوز الضباء في الاستواء ، ويسبق في الخدور بالخدور جري الماء ، فهو كما قال تأبط شراً<sup>(٢)</sup> ) :

ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي

ممنخرق من شدة المتدارك<sup>(٣)</sup>

ويرى في ذلك أحد الكتّاب المحدثين أن هناك إقبالاً كبيراً من الكتاب على انتهاب طرائق الشعراء في المعاني والأساليب<sup>(٤)</sup> .

وفي هذا السياق ترى الباحثة غير ذلك ؛ إذ إن الأديب ( وهو كاتب الرسالة هنا أدرك منذ القدم القيمة الأدبية الناتجة عن توظيف الشعر في سياق فن النثر ( الرسالة ) فعمد إلى استعمال ذلك في رسائله واعياً ومدركاً للبعد الفني الذي يحققه توظيف مثل هذه الآلية في النص .

(١) ابن طاهر هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان الخزاعي ، كان كثيراً ما يعتمد عليه المأمون وكان أديباً ظريفاً له شعر مليح ورسائل ظريفة ، (ت ٢٢٨هـ) . انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق : الدكتور يوسف علي طويل والدكتورة مريم قاسم طويل ، مج ٣ ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص ٦٧ ؛ زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي إسحاق المصري القيرواني ، للدكتور زكي مبارك ، ج ٢ ، مطبعة الرحمانية بمصر ، ط ١ ، ص ٢٢٥ .

(٢) الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، ل محمد الدروي ، دار الفكر ، عمان ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩١م ، ص ٥٤٠ ؛ تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، للدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٩٦٦م ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

(٣) ديوان تأبط شراً ، جمع على ذو الفقار شاعر ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ١٥٢ .

(٤) النثر الفني في القرن الرابع ، لزكي مبارك ، ج ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط ٢ ، ص ١٠٠ .  
نبذة عن الشاعر تأبط شراً : ثابت وكنيته أبو زهير بن جابر بن سفيان ، سمي بذلك لأنه تأبط سيفاً وخرج ، فقيل لأمه : أين هو ؟ فقالت : تأبط شراً وخرج . انظر : الخزانة ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

وهنا برزت هذه الظاهرة بشكلٍ جليٍّ ، بعد أن تم التّأصيل لها من كتّاب الرسائل وكانت تمثل صحوة أدبية تجاه الموروث ، وطريقة مبتكرة من التّأليف والكتابة في إطار الأصالة والتراث القديم .

### ج- أنواع التوظيف :

إن التوظيف ، أيّاً كان شكله المستخدم ، يُعد مطلباً فنياً للرسالة وضرورة ملحّة ؛ فقد تشكلت هذه التوظيفات - بأشكالها المختلفة - لبنة عضوية من شأنها أن تسهم في بناء النص والإضافة إليه ، وتتنوع طرائق التوظيف التي جاءت في رسائل الكتّاب ، ومن أبرز أنواع التوظيف التي استخدمها الكتّاب الأندلسيون في رسائلهم :

١- التوظيف الكلي ( الصريح ) : ( وفيه يورد الكاتب ما يستشهد به مورداً للإشادة بقائله فشعره جاء شاهداً على الفكرة التي عبّر عنها الكاتب أو مشيداً بحال المخاطب ومعبراً عنه )<sup>(١)</sup> .

ومثال ذلك رسالة ديوانية ( الحبوس )<sup>(٢)</sup> يرد فيها على رسالة لابن عبد الله أمير قرمونة<sup>(٣)</sup> رداً صارماً حيث بادره برفض نصائحه قائلاً<sup>(٤)</sup> :

( وإن كنت أردت أن تستصلح منيّ بسبك فاسداً ، وتستقرب من وديّ باستطالتك مباعداً ، فما هذه شيم يقضي بها الفضل ، ولا سياسة يحكم بها العقل ، وإن كنت أردت التخويف والإيعاد والإبراق والإرعاد فقد كفاني بيت الكميت<sup>(٥)</sup> :

- 
- (١) الرسائل الفنية في العصر العباسي ، للدروي ، ص ٥٤١ - ٥٤٢ .
- (٢) ( حبوس ) : هو حبوس بن ماكن مؤسس دولة بني زيري في غرناطة ، توفي ٤٢٨هـ . النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس ، مضامينه وأشكاله لعلي بن محمد ، ج ١ ، دار الغرب ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ٢١٨ .
- (٣) قرمونة : هي مدينة بالأندلس في شرق إشبيلية افتتحها عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٠٥هـ . الروض المعطار في خبر الأقطار ، لمحمد الحميري ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط ١ ، ١٩٧٥م ، ص ٤٦١ .
- (٤) نص الرسالة . انظر : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، تحقيق : إحسان عباس ، ق ١ ، مج ١ ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ط ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ٦٢٥ - ٦٢٦ .
- (٥) الكميت بن زيد بن مجالد الأسدي ، ولد (٦٠هـ) (١٢٦هـ) ، شاعر أموي خطيب وفقه شيعي ، كان حافظاً للقرآن وجدلياً . انظر : الخزانة ، ج ١ ، ص ٤٤٠ .
- وشعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع داود سلوم ، ج ١ ، بغداد ، مكتبة الأندلس ، ط ١٩٦٩م ، ص ٧ .

أُبرق وأرعدُ يا يَزْر      يدُ فما وعيدك لي بضائر<sup>(١)</sup>

وأنا أحد البرابرة لا أخرج عن جماعتهم ، ولا أبعد عن مواقفهم ولا أرغب بنفسي عن نفوسهم ..

وما أنا إلا من غزية إن غوتُ

غويتُ وإن ترشدُ غزية ارشد<sup>(٢)</sup>

فالتوظيف هنا يجيء في البيت الأول صريح ومباشر والبيت الثاني ومعضداً للفكرة التي يتحدث عنها الكاتب بل إنه مطابق لها ومعبرٌ عنها ومؤكّدٌ لها .

٢- التوظيف المعنى : وهو تضمين الأشعار دون الإشارة إلى كونها من شعر شاعرٍ آخر بما يوحي للقارئ أنها للكاتب لا لغيره ، غير أن الإشارة قد تكون بجملٍ فيها إشادة مثل " لله در القائل " أو " وفي ذلك يقول شاعرنا " (٣) .

ومثال هذا النوع من التوظيف : رسالة في ذكر الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي<sup>(٤)</sup> في فصلٍ منها " ... لو أعنت بما تلاقي عليه من خواطر ملتبهة المطالع وألسنة معروفة المقاطع ، لما زاد هذا الدينُ عليّ إلا توثقاً ولا أستجد هذا الحق إلا تعلقاً :

دعُ ذا وعدِ القولِ في هرم<sup>(٥)</sup>

أنا الآن متشوقٌ إلى خدمته لو وجدت إليها سبيلاً .. الخ (٦) .

(١) ديوان الكميّ بن زيد ، ص ٢٢٥ .

(٢) البيت لدريد بن الصمّة . انظر : الأصمعيّات ، ص ١٠٧ .

(٣) الرسائل الفنية ، لمحمد الدروي ، ص ٥٤٣ - ٥٤٤ .

(٤) هو الحسين بن علي بن الحسين وزيرٌ من الدهاة له مؤلفات كثيرة . انظر : إعتاب الكتاب لابن الأبار ، تحقيق : د. صالح الأشر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط ١ ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م ، ص ٢٠٦ .

(٥) من قول زهير بن أبي سلمى . انظر : ديوانه شرح الأعلام الشنتمري ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ١١٥ .

(٦) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٤ ، مج ٢ ، ص ٥٠٣ .

فاليبت الموظف هنا :

دَعْ ذَا وَعْدِ الْقَوْلَ فِي هَرَمٍ

خير البُداةِ ، وسيدِ الحَضْرِ

فاستشهد هنا الكاتب بيت زهير بن أبي سُلمي دون الإشارة إلى صاحبه ، فيخيل للقارئ أنه للكاتب نفسه ؛ لاسيما أن كتاب هذا العصر كان أغلبهم شعراء .

٣- التعلق بألفاظ الشعراء وصورهم ومعانيهم<sup>(١)</sup> :

وفيها نجد العودة إلى الألفاظ القديمة ، والمعاني الخالدة ، مما يبين القيمة الحقيقية للتراث ، ومثال ذلك رسالة ابن خفاجة<sup>(٢)</sup> :

فعند أهل الفضل يوضع الفضل ، وفي مغارسها تغرس النخل ، لا زلت غمام نعمى ورُحمى ، ولا نزلت إلا بماتل رُعيا وسقيا ..<sup>(٣)</sup> .

حيث إن الكاتب يستعين بقالب الصورة المسترفدة من بيت زهير بن أبي سُلمي الشهير:

وهل ينبت الخطيَّ إلا وشيجهُ

وتغرسُ إلا في منابتها النخل<sup>(٤)</sup>

ويريد بذلك أن الكرام لا يولدون إلا في موضع الكرم<sup>(٥)</sup> .

(١) الرسائل الفنية ، لمحمد الدروبي ، ص ٥٤٦ .

(٢) ابن خفاجة : هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة من أشهر وصافي الأندلس ، ولد سنة ٤٥٠هـ — ، (ت ٥٣٣هـ) . انظر موسوعة شعراء الأندلس ، لعبد الحكيم وائل ، دار أسامة ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ص ١١٦ ، والمغرب في حُلَى المغرب ، لابن سعيد ، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف ، ط ٤ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٥م ، ص ٣٦٧ ، وقلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، لابن خاقان ، ج ٤ ، تحقيق : حسين حربوش ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٧٣٩ .

(٣) نص الرسالة . انظر : ذخيرة ، ق ٣ ، مج ٢ ، ص ٥٥١ .

(٤) انظر : ديوان زهير بن أبي سُلمي ، ص ٤٤ .

(٥) نفسه ، ص ٤٤ .

وهذا النوع أسماه الدكتور بدوي طبانة ، بحل المنظوم أو المعقود ( وهو ما يُنحل ولا يكون بتغير اللفظ ، وهو ضربٌ محمود وإما أن يُنحل بتأخير لفظة أو تقديم أخرى ، وأخذ المعاني وكسوتها بألفاظ جديدة ، وهذا أرفع درجات حل المنظوم )<sup>(١)</sup> .

٤- التوظيف الجزئي : وهو أن يقتصر الكاتب على تضمين شطرة واحدة يدرجها في كلامه ، ويقوم الأخرى من عنده من أجل مناسبة المعنى الذي يريد التعبير عنه<sup>(٢)</sup> .

ومثاله رسالة ذي الوزارتين ابن زيدون<sup>(٣)</sup> ( لعمرك يا سيديّ إن ساحة العذر لتضيق عنك ، وما تكاد تتسع لك في إسلامك لتلميذك وابن جارك ..

إلى قوله ( وقد رويت أن حسن العهد من الإيمان ، وسمعت المثل : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، فالمرء كثير بأخيه ، وألا أقل من استعمال الجد ، واستغراق الجهد :

فمبلغ نفسٍ عذرها مثل منجح<sup>(٤)</sup>

ولا ألوم في أمري إذا بلغ العذر ، ولكن من لك بأخيك كله .. )<sup>(٥)</sup> .

وهنا تبدو حرفيّة الكاتب الذي جمع بين موهبتي الشعر والنثر إذ يسترشد عجز بيت الشاعر عروة بن الورد :

فمبلغ نفسٍ عذرها مثل منجح

وصدر البيت هو :

ليبلغ عذراً أو يصيب رغبةً

(١) السرقات الأدبية ، دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها ، لبدوي طبانة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص ١٩٥ - ١٩٨ .

(٢) الرسائل الفنية ، لمحمد الدروي ، ص ٥٤٤ .

(٣) ابن زيدون هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن زيدون ، ولد عام ٣٩٤هـ (ت ٤٦٣هـ) . انظر : القلائد ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ؛ ديوان ابن زيدون ، شرح محمد سيد كيلاني ، القاهرة ، ط ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، ص ٥ .

(٤) شطر بيت لعروة بن الورد . انظر : الأصمعيات ، ص ٤٣ .

(٥) نص الرسالة . انظر : ذخيرة ، ق ١ ، مج ١ ، ص ٤١٤ .

رغبة من الكاتب أن يمزج هذا الشعر ليعبر به عن معنى الاعتذار الذي أراد ، وهو نوع من التفنن في الكتابة وإظهار المعرفة .

٥- التحوير : ( وهو تغيير الكاتب أحداثه بغية مناسبة النص المحور لمعطيات السياق كأن يختص بالضمائر ، مثلاً أن يحول ضمير المتكلم إلى مخاطب ، أو المفرد إلى الجمع )<sup>(١)</sup> .  
وقد عرفه الدكتور علي عشري زايد أثناء حديثه عن التوظيف للنص التراثي وذكر (أن التحوير يُعد تكتيكاً يتضمن إدخال تحوير مقصود على النص يتحول به إلى نقيض مدلوله التراثي بهدف يؤدي إلى مفارقة تعبيرية يوظفها الشاعر لإدانة وضع معاصر مناقض لمدلول النص التراثي ، وتكون وظيفة النص التراثي المحوّر هو تجسيد هذه المفارقة بين مدلوله التراثي ، ومدلوله المعاصر بعد التحوير )<sup>(٢)</sup> .

وهذا النوع من أقل الأنواع في الرسائل الأندلسية ، وأدرجته في التوظيف الجزئي لأنه جزء من التوظيف .

---

(١) الرسائل الفنية في العصر العباسي ، ص ٥٤٥ .

(٢) توظيف التراث في شعرنا المعاصر ، للدكتور علي عشري زايد ، مجلة فصول ، مج ١ ، ع ١٤ ، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص ٢١٢ .

# الفصل الأول :

الرسائل الديوانية

(التوظيف الكلي والجزئي)

## الرسائل الديوانية

مدخل :

### أ- مفهوم الرسائل الديوانية :

( نعني بها كل المراسلات والمخاطبات والوثائق وغيرها من ضروب الإنشاء ، ذات الطابع الرسمي ، والتي تدخل في باب من أبواب ترتيب الحكم وتنظيم المملكة ، وضبط الشؤون الإدارية ، ومراسلة الأطراف التي يكون التعامل معها ، على وجه من الوجوه ، داخل البلاد وخارجها ، جزءاً من النشاط السياسي )<sup>(١)</sup> .

ويستمر المفهوم ذاته عند أغلب الدارسين الذين تناولوا الرسائل الديوانية ، وفي هذا الصدد يقول الدكتور أحمد الشايب معرفاً بها على أنها ( ما يصدر عن الدواوين أو يرد إليها خاصة بشؤون الدولة وصوالحها ، تيسيراً للعمل وتثبيتاً للنظام العام ، ويغلب على هذا النوع الدقة والسهولة في التعبير ، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية ، والمساواة في العبارات ، والبراءة من التهويل والتخيل )<sup>(٢)</sup> .

### ب - نشأتها وتاريخها :

( والرسائل الديوانية أقدم تدويناً من الإخوانية حيث إنها من متطلبات الحكم وتدير أمور الدولة الخارجية والداخلية ، ولعل أول رسالة ديوانية - بحسب ما وصلنا - هي تلك الرسالة ( المعاهدة ) التي كتبها الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين نزوله بالمدينة بين المهاجرين والأنصار )<sup>(٣)</sup> .

وستأتي بعض النماذج للرسائل الديوانية التي وظف بها كُتّابها أشهر أشعار الجاهليين وأفضلها ، وسنوردها على سبيل التمثيل لا الحصر .

(١) النثر الأدبي في الأندلس ، مضامينه وأشكاله في القرن الخامس ، لعلي بن محمد ، ص ٢٠٨ .

(٢) الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، للدكتور أحمد الشايب ، القاهرة ، مطبعة النهضة بالقاهرة ، ط ٦ ، ١٩٦٦ م ، ص ١١٣ .

(٣) ديوان الإنشاء بمصر والشام في القرن السادس وأثره في تطور الأساليب النثرية ، رسالة دكتوراه ، للدكتور عايش سعد الحارثي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٦ ، نقلاً عن جمهرة رسائل العرب ، ج ١ ، ص ٣١ وما بعدها .

علماً بأن الرسائل الديوانية تُعد أقل الرسائل توظيفاً للأشعار الجاهلية وغيرها ؛ لأن الشعر لم يكن له دورٌ كبيراً في الديوانيات ، بسبب طابعها السياسي والإداري وإن كان موجوداً في بعض رسائل الشكر أو الاستنجد والتهنيتي والتعازي (١) .

### ج - موضوعاتهما :

( تعد رسائل التولية والعزل ، ورسائل العهود والمواثيق ، ورسائل المدح والتهنيتي والتعازي ، ورسائل الاستغاثة والشفاعة والاعتذار والعتاب ، من أهم موضوعات الرسائل الديوانية ) (٢) .

( كما ينبغي تخيّر بلغاء الكتاب لهذا الإنشاء الديواني ، لما يترتب عليه من تبعات جسيمة ، ولقد كان لأولئك الكتاب منه رزقٌ واسع وجاه عريض ، فأقبلوا عليه وتغالوا في الافتتان به ) (٣) .

---

(١) للاستزادة انظر الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر ، المضمون والأهمية من حيث الشكل ، لعبد الحليم هروط ، ط ١ ، دار جرير ، عمان ، الأردن ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م ، ص ٥ .

(٢) النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين ، لحازم عبد الله خضر ، دار الرشيد ، العراق ، ١٩٨١م ، ص ٢٠٧ .

(٣) تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، لأنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٦ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٢٢ .

# المبحث الأول :

التوظيف الكلي للشعر

الجاهلي في الرسائل الديوانية

## الأنموذج الأول :

رسالة الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن سليمان المعروف بابن قصيرة<sup>(١)</sup> :

( ... ولعمري لو قضى بالسَّماع على العيان ، واستغنى بالإقناع عن البرهان ، واطمأن قلبه إلى التمويه ، وقد رآه محضاً لا شك فيه ، لكان كلام الداني أبي بكر<sup>(٢)</sup> في ذلك المعنى المتقدم الذكر برتبة ذلك أليق وفي حلبته أجمع وأسبق ، حتى لو سمعه الحارث بن هشام ، لعلم أنه قد ترك في حمد المذموم ، ومعارضته الصحيح بالسقيم ، طلقاً شاسعاً ، ومجالاً واسعاً .

وأول من حسّن الفرار ، فما وقع ولا طار ، الملك الضليل حيث يقول :

وما جُبُنْتُ خَيْلي وَلَكِنْ تَذَكَّرْتُ

مَرابِطُها مِنْ بَرْبُعَيْصَ وَمَيْسَرًا<sup>(٣)</sup>

ثم تتابع الشعراء في خدع العقول ، بالتمويه المستحيل ، فمن مُحسِنٍ بَرَزَ ، ومن مقصر عجز .. الخ الرسالة<sup>(٤)</sup> .

### توظيف البيت في الرسالة :

يدرك المتأمل في الرسالة السابقة أنها قائمة كلياً على توظيف البيت الشعري في الرسالة الديوانية فينبئها الكاتب على الفكرة والمعنى الذي يحمله بيت امرئ القيس ، وقد أجاد عندما جعل بيت الشاعر دليلاً على ما أراد إثباته ، وشاهداً على الفرار من أرض المعركة ويظهر قصد

---

(١) ابن قصيرة : نشأ في دولة المعتضد ، وولاه ابن تاشفين دواوينه ورفع من شأنها ، وأقره على ما كان يتولاه ، أشتهر بالعفاف ويُسَرُّ له العلم ، (ت ٥٠٨هـ) . انظر : إعتاب الكتاب ، لابن الأثير ، ص ٢٢٢ ، وقلائد العقيان ، لابن حاقان ، ج ١ ، ص ٣٥ .

(٢) أبو بكر الداني : هو المعروف بابن اللبانة (ت ٥٠٧هـ) ، له كتاب نظم السلوك في وعظ الملوك . انظر : القلائد ، ج ٣ ، ص ٧٧٦ ، والمغرب في حُلَى المغرب ، لابن سعيد ، ص ٣٥٠ .

(٣) البيت لأمرئ القيس . انظر : ديوانه ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٥ ، ص ٧٠ . لغة البيت : يكنى الشاعر عن الخيل بأصحابها وبمرابطها عن مواضعهم ، وببرْبُعَيْصَ وميسرا ، موضعان . انظر : الديوان ، ص ٧٠ .

(٤) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، مج ١ ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

التوظيف لدى الكاتب عندما عبّر عن المعنى الذي تحمله صورة مرابط الخيل ، وهي صورة تكفي لتقديم دليل مقنع على ذلك الجبن والفرار .

وتغني عن البرهان ، كما أن فيها تأكيداً على أن واقعة الحال تغني عن البرهان بعد أن أطمأن قلبه إلى التمويه .

فكان الإقناع مديلاً لهذا التمويه الذي وقع فيه ، والبون شاسع بين التمويه والإقناع ؛ لذا نجد أن البيت موظف في موقعه ويتطابق مع المعنى العام للرسالة ، وهو الاستغناء عن البرهان بالإقناع .

## الأنموذج الثاني :

رسالة للوزير الفقيه أبي عبيد البكري<sup>(١)</sup> يهنئ فيها المعتمد<sup>(٢)</sup> بالفتح الذي كان في سنة ٤٧٩هـ - (أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر ، الجميل الذكر ، ذي الأيادي الغرّ ، والنعمّ الزهر ، وهناً ما منحه من فتح ونصر ، واعتلاء وقهر ، بطالع السعد يا مولاي أبت ، بسانح اليمن عدت ، وبكنف الحرز عدت ، وفي سبيل الظفر سرت ، وبقدم العمرّ سعيت ، وبجنة العصمة أتيت ، وبسهم السداد رميت ، فأصميت ، صدّر عن أكرم المقاصد ، وأشرف المشاهد ، وعودٌ بأجلّ ما ناله عائد ، وآب به وارد ، فتوحٌ أضحكت ميسم الدهر ، وسفرت عن صفحة البشر ، وردّت ماضي العمر ، وأكبت واري الكفر وهزّت أعطاف الأيام طرباً ، وسقت أقداح السرور نجبا ، وثنت آمال الشرك كذبا ، وطوت أحشاء الطاغية رهبا ، فذكرها زاد الراكب ، وراحة اللاغب ، ومنتعة الحاضر ونقله المسافر :

بها تُنْفَضُ الأحلاسُ في كلِّ منزلٍ

وتُعقدُ أطرافُ الحبالِ وتُطَلَقُ<sup>(٣)</sup>

شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة ، وشفّت الملة ، وبردت الغلة ، وكشفت العلة .. الخ الرسالة (٤) .

## البيت الموظف في الرسالة :

به تُنْفَضُ الأحلاسُ في كلِّ منزلٍ

وتُعقدُ أطرافُ الحبالِ وتُطَلَقُ

(١) أبو عبيد البكري : هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، الأندلسي ، مؤرخٌ جغرافي ثقة ، وعلامة بالأدب ، له معرفة بالنبات ويُنسب إلى بكر بن وائل (ت ٤٨٧هـ) . الأعلام ، للزركلي ، ج ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ، ١٩٧٩م ، ص ٩٨ ، وقلائد العقيان ، لابن خاقان ، ج ٣ ، ص ٦١٥ .

(٢) المعتمد على الله ، أبو القاسم محمد بن عبّاد ، كان قد خلف أباه المعتضد على إشبيلية بعد وفاته ، مات أسيراً بأغمات سنة ٤٨٨هـ . انظر : القلائد ، ج ١ ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) ديوان الأعشى ، شرح عبد الرحمن مصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص ١٢٩ .

(٤) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، مج ١ ، ص ٢٢٦ .

## توظيف البيت في الرسالة :

يتجلى في توظيف الكاتب لبيت الأعشى في هذه الرسالة الدقة في التدليل على الفكرة ، وتوضيحها ترسيخاً لها ، حيث إن الكاتب بنى رسالته على تهنئة الوزير بنصره ، واسترشد بيت الأعشى الذي يتطابق مع هذه الفكرة - وهي المدح هنا - ويشخصها ولو تأملنا في سر إعجاب الكاتب بهذا البيت لوجدناه إعجاباً بقصيدة الأعشى الشهيرة التي قالها في مدح المخلوق بن خنثم بن ربيعة ، وفي هذا تدليلٌ على افتتاح كتاب الرسائل الأندلسيين بالأصالة المشرقية ، ولا يخفى ما اشتملت عليه قصيدة الأعشى من أبيات سيّارة أغرت كثيراً من الكتاب باسترفادها وتوظيفها في نصوصهم<sup>(١)</sup> .

---

(١) حيث توارد على نص الأعشى كثيرٌ من الكتاب الذين وجدوا فيه إمداداً يثري أفكار رسائلهم والموضوعات التي يطرّفونها ومنها البيت الموظف لاحقاً :

نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ المِخْلَقِ حَفْنَةً

كجايبة الشيخ العراقي نفهق

## الأنموذج الثالث :

رسالة الكاتب أبي عامر التاكريني <sup>(١)</sup> يخاطب بها أبا جعفر بن عباس <sup>(٢)</sup> ( كتبت عن نفس تفيض بمائها ، وتجيش بدمائها ، وتشكو إلى الله عظيم أدوائها ، غيظاً على تقلب الزمان ، وعجباً من تنكر الإخوان ، لا بلفظي عجبٌ إلا إلى مثله ، ولا أنتقل من مُستغربٍ إلا إلى شكله ، إن أبرمت حبلاً من الإخاء نقض المفسدون مريرته ، أو ملأت يدي فمن أعتد به للشدة والرخاء ، أفسد الواشون سريرته وبحق قيل :

إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رَضِيَتْهُ

وقرّت به العينانِ بُدلتِ آخرا

كذلك جدّي ما أصاحبُ صاحباً

من النَّاسِ إلاَّ خانني وتغيّرا

ولا عتب على الدهر فإن العتب على بنيه ، والذم لازم لأهليه <sup>(٣)</sup> والناس بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم <sup>(٤)</sup> .

## توظيف الأبيات في الرسالة :

إن تبدل الأحوال وتغير الظروف وتكالبها على الإنسان قضية إنسانية يعاني منها الإنسان في كل زمان ومكان ، فالكاتب تجيش نفسه بمشاعر ألم وحسرة على تقلب أحوال الزمان وتبدل أحوال الناس ، فيبث شجناً وحرزناً في هذه السطور التي يشتكي بها إلى الله من تقلب الزمان ، ويشتكي المصيبة الأعظم التي حلت به وهي تنكر الإخوان ، فما أقسى على الإنسان من أن يتذكر صديقاً تعاهد معه على الإخاء والمودة ، وعدّه سنداً يعتمد عليه في زمن الشدة ، لكن ماذا حل بهذه الصداقة ؟ إنها موطأة الأكناف للمفسدين والواشين ؛ فهذا الصديق

(١) أبو عامر التاكريني هو أبو عامر محمد بن سعيد التاكريني نسبة إلى تاكرنة من قرى (رُنْدَه) استقر في بلنسية ، أبوه من وجوه الدولة العامرية . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٢٢٩ ، إعتاب الكتاب ، لابن الأبار ، ص ٢٠١ .

(٢) أبو جعفر بن العباس هو أحمد بن عباس وزير إمارة المريّة ، قُتل عام (٤٢٩هـ) . انظر : المغرب في حُلِي المغرب ، لابن سعيد ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

(٣) ديوان امرئ القيس ، ص ٦٩ .

(٤) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٢٢٩ .

أصاخ سمعه لكل من يأتي له بمفسدة أو وشاية مما دعا الكاتب أن يتألم من هذا الوضع ، ولكن نلاحظ أن الكاتب لم يذم صاحبه بكلمة سوى قوله " عجباً من تنكر الإخوان " وهو يعاتب صديقه عتاباً شخصياً موجهاً غيظه إلى الزمان ، وحمل عتابه وذمه على أجنحة كلمات امرئ القيس التي رأى فيها تعبيراً شافياً وكافياً عما يريد أن ينقله إلى ذلك الصديق ، ولذلك أتى توظيف هذين البيتين ليحملا المعنى الذي أراد الكاتب إيصاله .

## الأنموذج الرابع :

رسالة الوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان<sup>(١)</sup> يخاطب بها بعض الوزراء والكتّاب معاتباً<sup>(٢)</sup> :  
( ما أكثر الأشياء الجامعة لنا : أدبٌ كروض الحزن ، وود كصوب المزن ، وأوليّة كرم تاريخها  
واتصلت أسانيدها ، لا يُنكر فضلها ولا تدم عهودها وأسلافٌ سلفت بينهم صحبة حميدة ،  
وأذمة وكيدة .. إلى قوله .. وقد كنت أعلمت بسؤالك - بفضلك - عني ، ونزاعك نحوي ،  
وغرضك إلى لقائي ، واعتذارك بخفاء مكان نزولي ، وغموض موضع حلولي ، ولقيت فلاناً  
نعرض عليّ من قصدك ما فت إليه حد المسابق ، لو أخرجت لي عنه العوائق ، فأريته من  
اختلال الحال الباعث على الانقباض ، وتجنب الاسترسال المخوف من الإعراض ، ووقوع  
الإخلال ما رآه ، فأحسبه وكفاه ، وتلقاه عذراً واضحاً يليقك فتلقيه ، ثم ما زال يفتل في  
الذروة والغارب ، حتى أحبته التزاماً لما لم يلزمني إلاّ بحكم جلالتك وشرط المتعين في استمالتك ،  
فوافينا متلك ذات يوم بُعيد العصر ، وعلى باب غلام ، سألتناه عنك فقال ، هو ينام ، فطوينا  
آثارنا ، وأعلمني بعد اجتماعكما من الغد ، وأنه عرفك بذلك المقصد .. إلى قوله .. وأما  
الازدراء والانتماء ، والتقدير والتعذر ، مع علمك بالحال وأولها ، وتمكنها وتأثّلها ، وبحال الأيام  
وتقلبها ، وتجاوز أقطارها وتنادرها ، ومع ذكرك قولهم " ليست العزّة في حسن البرّة " ، وقول  
من قال : " ليست العبادة تكلمك إنما يكلمك من فيها " وقول بعضهم<sup>(٣)</sup> :

ليس الجمالُ بمتمزّرٍ فاعلم وإن ردّيتَ بردا

(١) أبو بكر هو محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان (ت ٥٠٨هـ) وهو من أهل البلاغة والبيان ، عم الزّجال بن قزمان . انظر : القلائد ، ج ٢ ، ص ٥٥٥ .

(٢) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، مج ٢ ، ص ٧٧٥ - ٧٧٦ .

(٣) الأبيات لعمرو بن معد يكرب . انظر : الديوان ، تحقيق : هاشم الطّعان ، وزارة الثقافة والأعلام ، العراق ، ( بدون ت ، ط ) ، ص ٦٧ .

والشاعر هو عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي ، وفد على المدينة سنة ٩هـ ، أسلم ، ولما توفي الرسول - صلى الله عليه وسلم - ارتد ثم رجع إلى الإسلام . انظر : الأعلام ، للزركلي ، ج ٥ ، ص ٨٦ ، وخزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ٤٤٤ .

لغة الأبيات : ليس الجمال في المرء فيما يلبسه من الثياب وأراد الجمال في أصوله الزكية ، وأفعاله الكريمة ، التي تورث المجد والرفعة ، والشرف . انظر : الديوان ، ص ٦٧ .

إن الجمال معادنٌ ومناقبٌ أورثن مجداً<sup>(١)</sup>

وقول غيره : وفضل الناس في الأنفس ليس الفضل في المال .. ) .

### توظيف الأبيات في الرسالة :

لقد كان هذان البيتان بمثابة زيادة إيضاح لرأي الكاتب في أن المظهر لا يُغني عن المخبر ، إذ أوردهما أثناء عتابه لبعض الكتّاب من الوزراء ، فالخلق الحسن وما يُعرف به الإنسان من المناقب العظيمة والخصال الجميلة هي التي تكسبه المجد والرفعة ، ليس ما يرتديه من الملابس الأنيقة والحلل الكاملة .

ويُلاحظ أنه بدأ يسترفد أقوالاً مشهورة مثل " ليس العزة في حسن البزة " ، " وليست العبادة تكلمك إنما يكلمك من فيها " فجاء بهذين البيتين ليؤكد على هذه القضية إذ هي مدار النص ؛ ومعلومٌ - كما قد مر - أنهما لعمر بن معد يكرب ذلك الرجل الفارس الذي قلب معادلة مقياس الجمال وجعلها تركز على المآثر والمناقب ، إذن فعملية التوظيف هنا قائمة على محاولة إقناع الوزير المعاتب بعدم النظر إلى المظهر المخادع ووزن الناس به ، وقد أشار الكاتب إلى صاحب الأبيات بقوله " وقال بعضهم " ولم يذكر اسم صاحب النص ، فهو من التوظيفات المعمّاة .

ومع ذلك كله نستطيع القول : إن العلاقة بين الفنين الشعري والنثري علاقة وثيقة تراءت لنا من خلال النماذج السابقة ؛ حيث إن الكاتب يعمد إلى تدوير رسالته النثرية حول معنى البيت أو الأبيات الشعرية ، فيجيء توظيف البيت في خاتمة الرسالة أشبه ما يكون بتوقيع يؤيد الفكرة ، ويدعم المعنى .

وهذا يحملنا على القول بأن الأبيات الشعرية تحضر في ذهن الكاتب قبل كتابته للرسالة ، فيصب المعاني تبعاً للفكرة التي حملها البيت ، وكأني به في هذا الصنيع ، يقصد إلى ذلك قصداً ، وهذا كله راجعٌ إلى إعجاب الكتّاب بأصول ينايهم المشرقية .

---

(١) ورد البيت في أكثر من نسخة . انظر : ديوان عمرو بن معد يكرب ، تحقيق : هاشم الطعان ، ص ٦٧ . وانظر ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، تحقيق : المطاع الطرابيشي ، دمشق ، الناشر مكتبة المؤيد بالرياض ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٧٩ ، ٨٠ . ويبدو أن الكاتب اعتمد على محفوظه فاستبدل لفظة " معادن " بـ "مآثر " ولفظة " القافية " بـ " مجداً " بـ " مجداً " .

## المبحث الثاني :

التوظيف الجزئي للشعر

الجاهلي في الرسائل الديوانية

## مدخل :

عبر الكتاب عن إعجابهم بالتراث المشرقي في صورٍ عديدة ؛ من بينها التوظيف الجزئي الذي يعمد فيه الكاتب إلى توظيف شطرٍ من بيت شعري قديم أو صورة في صور الشعراء الجاهليين أو معانيهم يدرجها كلامه المنثور شاهداً على الفكرة التي أراد التعبير عنها في رسالته؛ وهنا تبدو حرفية الكاتب الذي تشبعت ذاكرته بموروث الشعر ، وهو إلى جانب هذا يجمع بين الموهبتين الشعر والنثر .

## الأنموذج الأول :

هذه صورة جديدة للتوظيف الجزئي نجدها في رسالة الكاتب ذي الوزارتين أبي القاسم محمد بن عبد الغفور<sup>(١)</sup> ( شفع الله تلك الغزوة الميمونة بغزوات ، وكتب لنا في ساحات أعدائه عدة مواطئ وعدوات ، حتى يُحرز أسيراً ذا تاج ، يفرّج عن شخصه مُعلق الرتاج ، ونؤؤب بغير رضا الكندي<sup>(٢)</sup> ، بل على وصف النابغة سُمي الجعدي<sup>(٣)</sup> راضين عن كل عقيلة نيرة .. الخ )<sup>(٤)</sup> .

## البيت الموظف :

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى

رضيتُ من الغنيمةِ بالإياب<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) أبو القاسم محمد بن عبد الغفور صاحب المعتمد ، كتب لأمير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين ، وقال عنه صاحب القلائد : ( إنه بادي الهوج ، وعر المنهج ، له ألفاظٌ متعقدة ، وأغراضٌ غير متوقدة ) . انظر الترجمة : القلائد ، ج ٢ ، ص ٤٦٦ ؛ رايات المرزّين وغايات المميزين ، لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق : الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م ، ص ٤٠ .
- (٢) يشير إلى قول امرئ القيس . انظر : ديوانه ، ص ٩٩ .
- (٣) النابغة الجعدي هو قيس بن عبد الله ، وقيل : حيّان بن قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة . أما النابغة فهو وصفٌ له لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم أجبل دهرًا ونبغ في الشعر في الإسلام . انظر : الخزانة ، ج ٣ ، ص ١٦٧ - ١٦٨ ؛ وديوان النابغة الجعدي ، لعبد العزيز رماح ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط ١ ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ، ص ٤ . انظر : مقدمة الديوان ، ص ٤ .
- لغة البيت : ( وقد طوّفتُ ) أي أكثرت من الطواف والمشي في نواحي الأرض حتى شقّ عليّ ذلك ، وصرت أرى الرجوع إلى الأهل من غير ظفرٍ ولا فائدة ولا غنيمة ؛ فالإياب هو الرجوع . انظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٩٩ .
- (٤) النص . انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، مج ١ ، ص ٣٥٧-٣٥٨ .
- (٥) ديوان امرؤ القيس ، ص ٩٩ .

## توظيف البيت في الرسالة :

يشير الكاتب في هذه الرسالة إلى نوعٍ من أنواع التوظيف الجزئي ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه التوظيف بالرمز أيضاً ؛ فهو إلى جانب كونه جزئياً فإن الكاتب لم يلجأ إلى تضمين نص بلفظة معينة بل إلى الإشارة إلى الاسم ، وفي ظني أن هذا العمل يعدُّ عملاً فنياً راقياً فهو إلى جانب قدرة الكاتب التوظيفية على التماس صفة إشارية من الشاعر ؛ فهو يدل على موسوعية ثقافية استطاعت أن تهضم المعنى الذي ورد في بيت امرئ القيس وتمثله موظفاً في خدمة الرسالة .

## الأنموذج الثاني :

رسالة لابن عباس <sup>(١)</sup> يرد فيها على ابن غرسية <sup>(٢)</sup> ( .. مه ! ألا تُقصر عن عمه ، انتبه لما أنت به ، إلى من ، ويلك ، أسلمت سيلك ، وثمرت عن السير ذيلك ؟ وأجلبت رجل سفهك وخيلك . ما انتفخ سحرُك ، حتى نفخ بما نفخ وشلُّك لا بحركُك ، لقد دانيت ما ليس بالمتدان ، وعاليت ما ليس لك به يدان ، المعاطس السمر القمر ، لا الزعر المعر ، الصبر الحبر ، العقر الوقر ، إذا ركبوا :

تحرقت الأرض واليومُ <sup>(٣)</sup>

طالوا أمماً ، وأدركوا الطوائل أمماً ، وفضلوا أحساباً وإمماً ، وشرفوا أنفساً وهمماً :

لهم شيمةٌ لم يعطيها اللهُ غيرهم <sup>(٤)</sup>

ليسوا بناجحي عفاء ، ولا ناسجي مسح عفاء ، ولا من استنفر بقردة ، ولا استحل خنازير وقردة ، ولا من اغتذى الجريث ، ولا من اشتوى جُرد اللغيث ، ولا من قارن بين ثيدة ، ولا من امتطى ظهر عيرة ، ولا من أثار عن النقع المثار ، ولا من شدّ الحلبة ، ليشرب الجفنة والعُلبة ، بل يشدون العمائم وينجعون الغمام ، ويرتدون الردينيات ، ويستجيدون اليزنيات ويفتلون الربديات ، ويتقلدون الهنديات ، ويظاهرون التبقيات ويغزون الربقيات ، ويتوشحون المعلمات ، والموشية المنمنمات يجرون أهدابها ، ويلحفون الأرض هُدابها ، ويلبسون للحال لبوسها ، إما نعيمها وإما بؤسها .

رقاق النعال طيبٌ حجزاتهم <sup>(٥)</sup>

(١) ابن عباس سبق التعريف به . انظر : مبحث التوظيف الكلي للرسائل الديوانية ، ص ٢٧ .

(٢) ابن غرسية : هو أبو عامر أحمد بن غرسية ، كان صيباً نصرانياً رباه مولاة مجاهد الصقلي ، أمير دانية . انظر : موسوعة ( شعراء الأندلس ) ، ص ٢٦٧ ، والمغرب في حُلَى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .

(٣) عجز بيت لامرئ القيس . انظر : الديوان ، ص ١٥٤ .

(٤) صدر بيت للنابغة الذبياني . انظر : الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، ص ٤٦ .

(٥) نفسه ، ص ٤٩ .

ذو الفطن والمهم والآراء والمجد .. ( الخ الرسالة ) (١) .

### توظيف الأبيات في الرسالة :

الكاتب تارةً يوظف عجز بيت لامرئ القيس ( تحرقت الأرض واليوم قُر ) إذا أراد الحديث عن جيشه الذي واجهه به ابن غرسية ( فهو يصف رجاله ممن لبسوا الدروع واشتعلت من تحتهم الأرض لشدهم وجماعتهم وركض خيلهم ) (٢) .

فقد وظف عجز بيت امرئ القيس وهو :

إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا

تحرقت الأرض واليوم قُر (٣)

وهو أيضاً توظيفٌ معمى لم يرد فيه اسم الشاعر ، أو الإشارة إلى شخصه ، بل اقتصر فقط على شطر البيت .

وتارةً أخرى يوظف صدر بيت للنابغة إذا أراد الحديث عن صفات هذا الجيش فوجدها قريبة الشبه بصفات الغساسنة في بيت النابغة :

لهم شيمةٌ لم يعطيها الله غيرهم

من الجودِ والأحلامِ غيرِ عوازب (٤)

فهو يريد : أن هؤلاء القوم خصوا بصفات حسنة وكريمة كالعقول الراجحة والكرم (٥) .

فالشاعر مدح الغساسنة بتلك الصفات التي تعد من أجمل صفات الفروسية ، ثم عمد إلى وصفهم أيضاً في حال سلمهم فوصفهم بالكرم والتدين والنعيم وسداد الرأي ، وأراد بذلك

(١) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ٢ ، ص ٧٤٩ - ٧٥٠ .

(٢) ديوان امرئ القيس ، ص ١٥٤ .

(٣) نفسه .

(٤) ديوان النابغة ، ص ٤٦ .

(٥) نفسه .

أن يوشّي رسالته التي تتحدث عن هذا الجيش الرائع أيضاً ، ويربطها بصفات خلّدت للغساسنة .

والتوظيف الآخر في الرسالة نجده في صدر بيت النابغة :

رقاق النعالِ طيبٌ حُجْراتهم

يحيون بالريحانِ يومَ السباسب<sup>(١)</sup>

فالشاعر أراد أن ينسب في قصيدته صفات أخرى للغساسنة الذين تمدحهم أنهم أغنياء يلبسون الأحذية الرقيقة ، ويحتفلون بعيد الشعانين ، وهو عيدٌ للنصارى يسمى ( يوم السباسب ) ، وهو الأحد الأسبق لعيد الفصح ، لدى النصارى ، بعدما يكونون قد أقاموا الزينة بأغصان النخل والزيتون<sup>(٢)</sup> .

ونرى الكاتب يحدث دجماً رائعاً في رسالته ، وربطاً مميزاً وقيماً بين صفات الفروسية في أشهر أبياتها التي خلّد الشعر الجاهلي لها ذكراً ، وبين صفات كريمة وأخلاق فاضلة توجتها أبيات شعراء كامرئ القيس ، والنابغة الذبياني ، لتكتمل صورة الفارس التي أراد رسمها في مخيلة ابن غرسية .

وتتبدى ثقافة الشاعر الأصيل الممتدة جذورها إلى أعماق الماضي المشرقي الناصع ، من خلال ما حمّله النص السابق في طياته من توظيفات ألح عليها الكاتب بعد أن وجدها تخدم مكونات جوهر رسالته ، فينتقل بين النابغة وامرئ القيس وبين فكرة تخدم سياقه من النابغة وأخرى من امرئ القيس ، وأجاد في توظيفها بغرض الرسالة بعد أن ربطها به ربطاً محكماً .

(١) ديوان النابغة ، ص ٤٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٩ .

## الأنموذج الثالث :

رسالة الوزير الكاتب أبي بكر عبد العزيز بن سعيد البطلبيوسي<sup>(١)</sup> وهي رقعة يخاطب بها  
أبا الحسين بن سراج<sup>(٢)</sup> .

( لولا أن عوائق الزمان - أدام الله عزك - تعوق ، وبنائق مساعدته على الأحرار -  
بعلمك - تضيق ، لساعدت إليك نزاعي ، وانقذت في حبل تشوقي واطلاعي ، ولطرت  
بجناح ، ما امتطيت أعناق الرياح ، لا استبطأت السلاهيبي ، واستهجت الجرد اليعايبي ، ولم  
أرضَ بالتي تنفخ في البرى ، واستقصرتُ بريدَ السرى بالليل من خيل بربرا<sup>(٣)</sup> ولا ارتحلت  
الكوكب ، وحملت إليك قلباً كقلب العقرب ، ولا اتخذت الحجر سبيلاً ، وسهيلاً دليلاً ، ولقدت  
البدر المنير..<sup>(٤)</sup> .

## البيت الموظف :

على كل مقصوص الذنابي معاودٍ

بريد السرى بالليل من خيل بربرا<sup>(٥)</sup>

---

(١) هو أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطلبيوسي من جلة الأدباء والرؤوساء ، كان كاتباً مترسلاً ، كتب للمتوكل بن الألفس ثم لابن تاشفين ، توفي سنة ٥٢٠هـ . انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، مج ٢ ، ص ٧٥٣ ؛ الإحاطة في أخبار غرناطة ، للسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق : محمد عنان ، مج ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، ص ٥٢٠-٥٢١ .

(٢) أبو الحسين بن سراج بن أبي مروان بن عبد الملك بن سراج كانت له منزلة رفيعة في العلوم الدينية واللغوية (ت ٥٠٨هـ) . انظر : القلائد ، ج ٣ ، ص ٦٢٣ ، ورايات الميرزين ، لابن سعيد ، ص ٧٤ .

(٣) انظر : ديوان امرؤ القيس ، ص ٦٦ .

(٤) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، مج ٢ ، ص ٧٥٤ .

(٥) ديوان امرؤ القيس ، ص ٦٦ .

لغة البيت : المراد قطع الطريق على كل فرس مقصوص الذنب وهي خيل تعرف بأنها للبريد ، فهي خيل استعملت في سير البريد مراراً وعاوده ، وقوله من خيل بربرا أي أصلب الخيول وأجودها . انظر : الديوان ، ص ٦٦ بتصرف .

## توظيف البيت في الرسالة :

حيث وظف الكاتب في هذه الرسالة شطراً من بيت امرئ القيس بعد أن طوعه لخدمة أسلوب السجع في فواصل الرسالة .

وقد جاء هذا التوظيف الجزئي ( وهو من قبيل التوظيف المعمى ) مترابطاً مع المعنى الذي قصد إليه الكاتب ، وكأني بالكاتب من شدة إعجابه بالشعر المشرقي الأصيل – لامرئ القيس هنا – وتمرسه به وحفظه إياه تناساه بعد ركنه في الذاكرة ، وقصد بعد ذلك إلى الصورة المنجزة بقالبيها فجاءت ، دون عناء ، مثالة على لسانه في سياق الرسالة ، وكأنها أصبحت من قبيل المُلْك الشائع الذي يتوارد عليه الأدباء شعراً ونثراً ، ولا يخفى أن الصورة جاءت هنا معبرةً عن أسرع وسائط نقل البريد في تلك الأزمنة .

ومثل هذا التوظيف يشير إلى قدرة الكاتب على استجلاب الصور الناجزة في شعر القدماء ، ودمجها في سياقه دون أن يلحظ القارئ غير المتخصص أنها لغيره .

## الأنموذج الرابع :

رسالة كتبها الوزير الكاتب أبو عبد الله محمد بن مسلم<sup>(١)</sup> :

( إذا كانت بأساء إثر نعماء ، ومست ضراء بعد سراء وافقت كاهلاً لَدُنَّا فأثقلتته ،  
وخاطراً رطباً فأوحلتته ، وإني فصلت عن تلك الحضرة بعد أيام كأيام الشباب ، وليالٍ كذوائب  
الكعاب ، سكناً منها في السواد من القلوب ، وسلطنا بين المخائق والجيوب ، أنقل من يد إلى  
يدٍ ، وأحمل بين جفنٍ وخلدٍ ، إن ظمئت سُقيتُ بردَ السرورِ على الأكباد ، أو طربت أُطعمت  
حلاوة الوداد في الأخلاذ ، ولله يوم " التاج " ، و " الزاهر " ، عند الملك الماجد الباهر ، فياله  
من أنس وطيب ، بين الخورنق والكثيب ، في مجلسٍ كأنما ألفت قواريره من حدودٍ وثغور ،  
وثماره من نهودٍ وبخور ، صعدنا فيه إلى العلياء ، وصرنا كأننا من أهل السماء ، نشرب النجوم  
بالأقداح ، ونحبي الجسوم بالأرواح ، فبتنا فاكهين فرحين ، نزم بالكووس ، ونرقص بالرووس  
ونثاقف الأخوان ، ونواقف الندمان ، مواقف الكرام ، بشرب المدام ، لا بجد الحسام ، نسقي  
ود الصديق للصديق ، ونطلب الصبوح بثار الغبوق حتى أحجلنا الشمس بضياء الراح ، وقمنا  
نقد السراج من ضوء الصباح ، وقلنا : دين المسيح ، يعبدُه كل مليح فطفنا حول الدنان ،  
بمصايح الرهبان ، وما زلنا نسمع باقتراح ، ونشرب على ارتياح ، ونصل اغتباقاً باصطباح ،  
حتى شبت مصايحنا لقفال<sup>(٢)</sup> ، وحن أوان ظعنٍ وارتحال .. )<sup>(٣)</sup> .

---

(١) اختاره ابن بسام في ذخيرته ويدل على أنه كان رسولاً إلى بعض ملوك الطوائف عن إقبال الدولة بن مجاهد ، وهو  
من أهل دانية ، وهي قاعدة إمارة مجاهد ، وابنه ( إقبال الدولة ) له أخبارٌ قليلة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ،  
ص ٤٢٧ ، والمغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

وقد وجه الكاتب رسالته إلى الوزير أبي عثمان صاحب ميورقة وهو أبو عثمان سعيد بن حكم ، أمير ميورقة .  
انظر : المغرب في حلى المغرب ، ج ٢ ، ص ٤٦٩ .

(٢) بيت امرئ القيس في ديوانه ، ص ٣١ .

(٣) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

## البيت الموظف :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنّها

مصاييحُ رهبانٍ تُشبِّ لِقُفال<sup>(١)</sup>

## توظيف البيت في الرسالة :

هذا البيت يعبر فيه الشاعر عن العمل والجهاد وكيف أن هذه المصاييح تشعل وتشب لمن يريدون الغزو ، وهنا وظف الكاتب شكلاً من أشكال التوظيف الجزئي الذي يمكن إدراجه تحت مسمى توظيف صور الشعراء ومعانيهم ، فوجه الكاتب أبو عبد الله خطابه إلى صاحب ميورقة ليتذكر معه أياماً قد مضت لم يبق منها سوى ذكريات جميلة وصادقة وصفها الكاتب بأوصاف رائعة ، تدل على أنها أيام مجد وانتصار ، يتخللها فرح وإحساس بنشوة الانتصار ، وتبادل كؤوس ، ورقص بالرؤوس ، ثم يسترسل الكاتب في وصفه تلك الأيام الخوالي التي كانت بينه وبين صاحب ميورقة حتى كان وقت الجد والغزو بعد الراحة من عناء القتال بالسيف كما ذكر في قوله <sup>(٢)</sup> :

( نثاقف الإخوان ، ونواقف الزمان ، مواقف الكرام ) وسرعان ما ينهي الكاتب استراحته بوصفه ( حتى شبت مصاييحنا لقتال ، وحان وقت الارتحال ) <sup>(٣)</sup> ، وهو ارتحال إلى الغزو والجهاد محفزاً المهتم للعمل .

والمأمل في طريقة توظيف الكاتب للشعر في سياق هذه الرسالة يُدرك أن الصورة الشعرية التي عمد إليها لا تكاد تبرح مخيلته ، إذ إنها وردت في أكثر من موضع في هذه الرسالة ، إذ يقول : ( ... فطفنا حول الدنان بمصاييح الرهبان .. ) <sup>(٤)</sup> ... ( حتى شبت مصاييحنا لقتال ) وهذا يؤكد على أن الكاتب لم يستطع أن يتفلسف من إيسار الصورة التي أنجزها امرؤ القيس فاستمرت عالقةً بذاكرته ومؤثرة في فكرته .

(١) الديوان ، ص ٣١ .

(٢) الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٤٣٦ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) نفسه .

## الأنموذج الخامس :

رسالة الوزير الكاتب أبي المطرف بن مثنى<sup>(١)</sup> من سلطانياته<sup>(٢)</sup> ( إن أبا الفضل  
الفاضل<sup>(٣)</sup> سيديّ - دامت حياته - قد ناداني بلسان وداده ، وأوماً إليّ بينان اعتقاده ، وأطار  
نحوي طائر الارتباد ، فلم يقع مني إلا على ثمرة الفؤاد ، وحنّ إليّ حنين الألوفا الأليف ،  
وواصلني مواصلة الحليم الحليف ، وأهدى إليّ نزاعه ، وألقى عليّ باعه ، فكيف لي أن أعذل  
عمن إليّ أقبل ، وأصدف عمن بي كلف ، فعارضتني أشد المعارضة ، وناقضتني أبلغ المناقضة ،  
هيهات إلا يبلغ الخصم بالقضم ، ولا ينتهي منال الكف إلى مباراة النجم ، فأسلك النصح  
القويم فممنك من أعتبك ، وأخوك من صدقك ، فوجدتني بين حالي اضطرار ، ليس فيها حظ  
لمختار<sup>(٤)</sup> فيما أن أعتد المخاطبة وألتزم المكاتبة على علاقي ، وبنو بناقي ، بطبع كليل وذهن  
غير صقيل ، وإما أن أرفض الملاحقة رفض المليم ، فأكون عين الجافي الذميم .. )<sup>(٥)</sup> .

بيت الأعشى :

البيت الموظف :

فقال ثكلٌ وغدرٌ أنت بينهما

فاخترٌ وما فيهما حظٌ لمختار<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) أبو المطرف بن مثنى هو من أهل قرطبة سكن بلنسية ، انضم إلى المأمون صاحب طليطلة ، بعد انفصاله عن المنصور  
عبد العزيز بن أبي عامر ، توفي في بلنسية ليلة الاثنين ٥٨٠هـ . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٤٠٨ .
- (٢) من سلطانياته : لفظة اتخذها كتاب الأندلس تعبيراً عن رسائلهم الديوانية .
- (٣) هو أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي ذكره من جملة كتاب ابن بسام في ذخيرته ، ق ٤ ، مج ١ ،  
ص ٨٧ .
- (٤) ديوان الأعشى ، ص ٨٩ .
- (٥) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٤١٦ .
- (٦) ديوان الأعشى ، ص ٨٩ .
- لغة البيت : الثكل : هو الموت ، وفقدان الحبيب ، وأكثر ما يستعمل للمرأة في فقد زوجها ، وفي الصحاح فقدان  
المرأة لولدها وهو دعاء على المرء لسوء فعلته يقال ( ثكلتك أمك ) . انظر : اللسان ، مادة ( ثكل ) .

## توظيف البيت في الرسالة :

نجد أن الكاتب قد اختار نصيبه مما تخيّرهُ أبو الفضل محمد بن عبد الواحد البغدادي في رسالة أرسلها أبو الفضل إليه ليخيّرهُ بين اعتماد المخاطبة وتكليفه بها ، والتزام المكاتبة أو الرفض ، ويبيّن له أبو الفضل أن في رفضه جفاء لوده ، ويتضح ذلك من رد الكاتب على أبي الفضل في قوله " فأكون عين الجافي الذميم ، فأنفذت كتابي مبتغياً وجه موافقتك وإرضائك .. " (١) .

وتوظيف بيت الأعشى الذي فيه تخيير بين أمرين أحدهما هو رديفٌ للآخر ؟ إنما يدلل على ثراء ثقافة الكاتب ، فالثكل هو الموت وفقدان الأحبة ، والغدر أيضاً يجمع تلك المعاني ويأسرها ، وكل ذلك جعل المختار بينهما لاحظ له فهو مجبر على ذلك .

فما هو إلا تعبيرٌ عن رغبة الكاتب في ملازمة الوزير أبي الفضل ورضاه .

ولعل إجادة الكاتب في توظيف الفكرة الناجزة في بيت الأعشى سهلت له عرض فكرته وأضاف إليها بعداً جعلها أكثر قبولاً عند طرحها من الكاتب الذي وجد نفسه بين أمرين أحلاهما مر .

---

(١) انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٤١٦ .

## الأنموذج السادس :

رسالة الوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان <sup>(١)</sup> ( ... و نترك ما استمر إلى هلم جرا ،  
وأطول به دهرًا ، فرما تلاقينا وكأنا ما تراءينا ، لا كلام بينت شفة ، ولا إيماء بطرف أنملة ،  
واللوم في هذا كله يسقط عني ، كما يضيق العذرُ عنك ، بقضية سنة الإسلام في السلام ، في  
أني ألقاك راكبًا وأنا ماشٍ ، وأنت بحمد الله طائر ، وأنا - ولا كفران بالله - واقع ، وعلى  
الطائر أن يغشي أخاه ، وإن طمح بك ، و حطَّ من قدري عندك ، إِدبارُ الأمر عني وإقباله  
عليك ، ففيها ما فيها ، وما أرضاها لك طريقة ، فالكريم يُجل الكرام ، وإن قلت إني أدعو إلى  
مباعدتي ، وأبعث على مقاطعتي ، باستبهام خُلقي ، وإظلام أفقي ، وثقل حواسي ، وقلّة  
استتناسي ، فهذا من لم تغره رقة الحضر اللطيف ، وقد قال - عليه السلام - " من بدا جفا " ،  
على أني أتكبر على المتكبرين ، ولا ألين لمن لا يبتغي لين <sup>(٢)</sup> ، ولولا أن يدال القربُ بالبعاد  
لأدرت عنها صفحاً وطويت دونها كشحاً <sup>(٣)</sup> .

## البيت الموظف :

لا يخرجُ الكَرهَ منِّي غيرَ مأبِية

ولا ألينُ لمنْ لا يبتغيَ ليني <sup>(٤)</sup>

(١) سبق التعريف به .

(٢) من بيت ذي الأصبع العدواني . انظر : المفضليات ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، دار المعارف ،  
القاهرة ، ط ١٠ ، ١٩٩٤م ، ص ١٦١ .

(٣) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، مج ٢ ، ص ٧٧٩ .

(٤) لغة البيت : الكره : الإكراه ، مأبِية : الإباء . المفضليات ، ص ١٦١ .

## توظيف البيت في الرسالة :

يعاتب الوزير هنا ويشيرُ إلى سياسته في التعامل مع الآخرين ، ويجدها تتجسد في سياسة الشاعر ذي الأصبع العدواني ، حيث رمى بيته هذا إلى طريقة سوية - في رأيه - في التعامل مع الآخرين وهي عدم الكبر ، وأيضاً عدم اللين مع من تجاوزوا الحد في سوء أفعالهم وحمق تصرفاتهم الخاطئة ، فجاء توظيفه منطقياً سليماً ورسمياً متكاملًا لمنهجية صحيحة في التعامل مع الآخرين ، فالكاتب استرشد الصورة التي حملها بيت الشاعر الجاهلي ، ورسم بها ومن خلالها حكمةً رائعة جعلها ضمن سلسلة في سياق المزج السليم بين الشعر والنثر .

وما كان لمثل هذا التوظيف أن يتأتى في هذه الرسالة لولا تلك الثقافة الأدبية الخاصة ، التي عوّل عليها الكاتب قصداً بتوظيفه لشطرٍ من بيت الشاعر ذي الإصبع العدواني <sup>(١)</sup> .

---

(١) نبذة عن الشاعر ذو الإصبع العدواني .

هو حُرثان ، بضم فسكون ، ذو الإصبع لأن حية مُهشت إمامه فقصتها ، وقيل : لأنه كان في رجله إصبع زائدة . ابن الحارث بن محرث بن شبات بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن يشكر بن عدوان ، شاعرٌ فارس جاهلي . انظر : المفضليات ، ص ١٥٣ .

## الأنموذج السابع :

رسالة للكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال<sup>(١)</sup> وهي رسالة ديوانية بعث بها إلى بعض الكبراء يعتذر عن دعوة وُجّهت إليه قائلاً ( يا عمادي الأعلى ، وكبير الموقر المفدى ، ومنيري الأشرق الأهدى ، الذي ينم على ضميره ما أبدى ، ويحيي ما درس من آثار المرؤوة والندى ، ويدعو إلى مآذبة حين أنتفر الناس الجفلى<sup>(٢)</sup> ؛ لا زالت نارُك توقد باليفاع ، وتستنقد السارين من أيدي الضلال والضياغ ، وتهيب بالخرقاء والصناع ، وتأخذ بالأبصار والأسماع .

كتبت وقد وافى الكتاب المستحث ، ورائد الوبل يلط ويلث ، وسطوره تندى طيباً وتمث ، فقلت شب الزمان على الهوى ، وعاودته أريحية الكرم ...

إلى نهاية رسالته التي ذكر فيها ... وإني - علم الله - لسريع إلى ناديك ، سميع لمناديك ، غير أن متزلي كما علمت - أو أعلمت - عورة ، ولهذه الأيام ، - ألا أنها الله - شدة وسورة فعذري باد ، وناديك لي ناد ، وبرك رائج وغاد ..<sup>(٣)</sup> .

## البيت الموظف في الرسالة :

بيت طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعوا الجفلى

لا ترى الأدب فينا ينتقر<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) أبو عبد الله بن أبي الخصال هو محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي ، له تفنن في العلوم والآداب ، وزير الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين ، توفي مقتولاً عام ٥٣٩هـ وقيل : ٥٤٠هـ . انظر : قلاند العقيان ، لابن خاقان ، ج ٢ ، ص ٥١٨ ، وآيات المبرزين ، لابن سعيد الأندلسي ، ص ١٠٥ .
- (٢) طرفة بن العبد ، ديوانه شرح الأعلام الشنتمري ، تحقيق : درية الخطيب ، لظفي الصقال ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص ٦٥ .
- (٣) نص الرسالة . انظر : رسائل أبي عبد الله بن أبي الخصال ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ٩٨-٩٩-١٠٠ .
- (٤) لغة البيت : الجفلى : من جفل اللحم ، أي تقشر ، وهو قلب الشيء وجفلت الطير عن المكان ، وانجفل القوم أي : هربوا بسرعة وفضوا كلهم . انظر : اللسان ، مادة ( جفل ) . والنقر : هو الضرب على الرحى ، أو الجمر ودعاهم النقرى أي دعاء بعضهم لبعض فدعوته نقرى أي خاصة والانتقار أي الاختيار . انظر : اللسان ، مادة ( النقر ) .

## توظيف البيت في الرسالة :

الكاتب أراد الاعتذار عن هذه الدعوة الخاصة التي وُجّهت إليه بما يتناسب مع موضوع الرسالة ؛ جامعاً بذلك معنى الاعتذار مع مدح المرسل إليه بالكرم والإحسان وإقامة الولائم والمآدب ، وهو بذلك يوظف معنى من معاني الشعراء الجاهليين ، ورد ناجزاً في صورة تعد أنموذجاً قال فيها طرفة <sup>(١)</sup> :

نحنُ في المشتاةِ ندعوُ الجفلى

لا ترى الآدب فينا ينتقرُ

فأجاد توظيف البيت هنا في المعنى الذي تضمنته الرسالة .

---

(١) نبذة عن طرفة بن العبد :

هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك أحد شعراء المعلقات . انظر : خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ٤١٩ ، مقدمة الديوان .

## الأنموذج الثامن :

رسالة وجهها الكاتب عبد الله بن أبي الخصال يهنئ بها عاملاً على ولايته<sup>(١)</sup> (يا عمادي الأعظم ، ومصادي الأعصم ، وردء استظهاري الأكرم ، وإمامي الأهدى في الخطب إن أعتم ، ومن أطال الله بقاءه لعز يستأنفه مشيد ، وعمر يستقبله جديد ، ومهل سائغ الظل مديد ، كتبت - أدام الله عزك - والقتاد ثمار ، والثمار غمار ، وعودُ الزمان - بعودتك الحميدة - نُضار .

أجل ، لقد شبَّ بعد الهرم ، وأعرب عن عهدٍ صريح الكرم ، وإن دهرًا لبس رونق بهائك ، وملكاً شد باكتفائك ، وأوثر ببقية عمرك الزاكية وغنائك ، لجدير أن تضحك رياضه وتفهبق حياضه ، وتجم أمواله على العلل ، وتبرأ أحواله من الأعراض والعلل ، وتطرد بالسداد ومصالح العباد قوانينه ، وتتقد بمصايح الإتيان والإحسان دواوينه ، وتتنظم الفوائد في سلكها فرائد فتر الناظر ، وتبهج الزائر بحقائق في حدائق ، خطرت بالجداول ، وقصرت عنها يد المتناول ؛ فكأنها سماء ملئت حرساً شديداً ، وشهباً لا تلبث لاستراق السمع مريداً ، فلم مخطوم منها بخظام ، ومكعوم بكعام [ يجزون ] من تهذيب نسق الحقوق وتقصاها ، ويتلون ﴿يُؤَيِّلُنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا﴾<sup>(٢)</sup> فالحمد لله الذي أحيا الأعمال منك بزادها ، من بعد ما ضرب على آذنها ، فشول الفيء تكسع بأغبارها<sup>(٣)</sup> وعُلب الحلب تملأ إلى أصبارها ، فهنيئاً لراعي الأمة ، وكاشف وكاشف الغمة .. ) إلخ الرسالة .

(١) انظر : رسائل عبد الله بن أبي الخصال ، ص ٦٢-٦٣ ، ولم يظهر اسم العامل ولا زمن تعيينه ولا مكانه .

(٢) سورة الكهف ، آية : ٤٩ .

(٣) من قول الحارث بن حلزة . انظر : ديوانه ، جمع : إميل يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ١ ،

١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ٦٥ .

## البيت الموظف في الرسالة :

لا تُكسَع الشُّوْلُ بأغبارها

إِنَّكَ لا تدري مَنِ الناتجُ !<sup>(١)</sup>

## توظيف البيت في الرسالة :

الكاتب هنا هنا عاملاً بهذه الولاية الجديدة وأراد نصحه مع التهنئة ، فهو ينصحه بأن يُحسن استخدام الفيء وصرفه ، كما أحسن الحارث بن حلزة نصحنًا في بيته بأن نحسن استغلال هذه الناقة فإننا لا ندري متى نموت ، أو نُغزى فيذهب لبنها سدى ، فالكاتب أفاد من هذه الصورة القديمة وأحسن استرفادها في رسالته ، ومع أنه طوّع القالب اللفظي الذي حمل شرطاً من بيت الحارث دون الإشارة إليه لخدمة أسلوبه النثري في الرسالة ودمجها بإحكام فيها .  
إلا أن الصورة الموظفة استمرت دالةً على أصلها الناجز منذ القدم ، وفي ذلك تأكيدٌ على براعة الكاتب في توظيف الشعر في سياق النثر حيث جعل شول الفيء تكسع بأغبارها إثباتاً وقد وردت في بيت الشاعر نهيًا .

---

(١) لغة البيت : الشول : شالت الناقة بذنبها أي رمقته ، وشال ذنبها أي : ارتفع والشائلة من الإبل أي : التي أتى عليها من حملها ورضعها سبعة أشهر فنخف لبنها والجمع شول . وهي الناقة التي لم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن أي : بقية وهي مقدار ثلث ما كانت تحلب ، فَشُولُ لبنها أي نقص والتحت بطونها بظهورها . انظر : اللسان ، مادة ( شول ) . تكسع : أي كسع الناقة بغيرها . ضرب ضرعها بالماء البارد . انظر : الديوان ، ص ٦٥ .

## الفصل الثاني :

الرسائل الإخوانية

(التوظيف الكلي والجزئي)

مدخل :

## مفهوم الرسائل الإخوانية :

إن الإخوانيات فن من الفنون الأدبية الثرية ، و أنه رسائل يتبادلها الأدباء في مناسبة معينة ، أو لغير مناسبة ويتخذون منها وسيلة لإبداء البراعة في تنخّل المفردات وتخير العبارات وإبداء ما لديهم من مهارة بيانية واطلاع على أسرار اللغة العربية وغريبها ، ويكثر بها الشواهد القرآنية والأحاديث الشريفة والتمثّل بأقوال المشاهير والقدماء<sup>(١)</sup> .

وقد يقصد بالرسائل الإخوانية ( الرسائل التي تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم ، من رغبة ورهبة ومدح وهجاء وعتاب وإعتذار واستعطف ، وتهنئة وتسامح ورتاء وتعزية ..<sup>(٢)</sup> .

وفي التوجيه القرآني الحث على الإخوة والإخاء لما له من معانٍ قيّمة وفوائد جليّة في

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾<sup>(٣)</sup> .

فالكاتب يمتطي صهوة الإخوانيات ويسبق بها في مضمار الإبداع الأدبي؛ ليعبر عما

يجول في وجدانه وفكره من عواطف فهي تسمى الوجدانيات<sup>(٤)</sup> .

وإذا ما وصلنا إلى القرن الخامس وجدنا الرسائل الأندلسية في هذا القرن كتبها العديد

من الكتاب الذين رفعوا شأن الكتابة ، وصقلوا موهبتهم بالعودة إلى كتب التراث المتمثل في

أشعار الجاهلين ، وقد يجتمع بالكاتب الواحد أنه شاعرٌ ، وحاكم ، وكاتب ، فكيف بصفات

(١) المعجم الأدبي ، لجبور عبد النور ، ص ٩ .

(٢) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف ، ص ٤٩١ .

(٣) سورة الحجرات ، آية : ١٠ .

(٤) الرسائل الإخوانية عند كتاب الأندلس في القرن السادس الهجري محاورها المضمونية وسماتها التشكيلية ، رسالة ماجستير لابنتسام الصبحي ، ١٤٢٥هـ-١٤٢٦هـ ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ص ١٤ .

كهنه يمكن أن تؤدي إلى انتهاب طرائق المشاركة دونما وعي أو تدقيق ، أو دون أن تكون هناك سمة مميزة وصورة دقيقة يرسم فيها الكاتب ملامح نشره .

وفيما يلي عرض لبعض الرسائل الإخوانية التي حوت توظيفاً شعرياً راقياً ، وهي تختص بالشعر المستعار من أصحابه ؛ ليقضي به المستعير إرباً فنية قد لا تخرج عن باب من أبواب تقوية الكلام ، وتحسين إنشائه ، وضم بعض أجزائه إلى بعض<sup>(١)</sup> .

---

(١) النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس ، لعلي بن محمد ، ج ٢ ، ص ٦٧٧ .

المبحث الأول :

التوظيف الكلي

للمراسل الإخوانية

## الأنموذج الأول :

رسالة الأديب الكاتب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد <sup>(١)</sup> جواباً عن كتاب عتاب قال فيه : ( ولو أني من هذه الفرقة التي مزجني بها ظلمك ، وضمنتي إليها هضمك ، وعملتُ عملهم على حُكْمِك ، وسلكتُ سُبُلهم على زعمك ، لكان لي في تشبُّنك الدَّأني ، وتعلقك المجاهدي ، أسنى مؤتسى ، وأهدى مقتدى ، فلتتسامي مناقل ، وللتترقي منازل ، وإن جمعتني بهم الصفات ، فقد أفردتني منهم الموصوفات ، وما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء ثمرة :

قد يبعثُ الشيء من شيء يشابهه

إن السماء نظيرُ الماء في الزرقِ

وما كل معنى يَضْحُ ، ولا كل دعوى تصح ، كمثل ما تابعت إيراده ، وشفعت ترداده ، من أنك غرستني وبنيتني وأقمتني وقومتني ، وكلها عبارة تؤلم الأبيّ الحمي ، واستعارة توهم السامع الشاسع ، وإشارة تُعجب الحاضر الناظر ، ولست بمنكرٍ معاضدتك في شأن الكتاين الكريمين ، فهما وسميِّك ووليِّك ، المكتوبان بزعمك على وجه صباحك والموصولان بأجنحة رياحك ، ولن تعدم على ذلك جزيل حمدي هنالك ، وحاشا لله أن أنكر اليد وإن صغرت ، أو أكفر النعمة وإن نزلت ، ولست بجية صمّاء كما أشرت ، ولا بسليقة <sup>(٢)</sup> طلساء كما عرضت :

ولو غيرَ أعمامِمي أرادوا نقيصتي

جعلتُ لهم فوقَ العرائنِ ميسماً <sup>(٣)</sup>

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن الحداد ، متقدم في التعاليم والفلسفة ، هو شاعر أيضاً كتب ديوانه على حروف المعجم ، وكانت وفاته في حدود ٤٨٠هـ ، بالمرية . انظر : الذخيرة ، ق ١ ، مج ٢ ، ص ٦٩١ ، الأعلام ، للزركلي ، ج ٥ ، ص ٣١٥ .

(٢) السليقة : هي الذئبة .

(٣) البيت للمتلهم الضبعي . انظر : ديوانه ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي برواية الأثرم ، وأبي عبيدة عن الأصمعي ، معهد المخطوطات ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ٢٠٩ ، ويروى ( ولو غير أحوالي أرادوا نقيصتي ) .

وما أفصح تبيانك لفهاهتي ، وأوضح برهانك على جهالتي .. (١) .

### توظيف البيت في الرسالة :

لا تخطئ عين القارئ إذا نظرت إلى هذا البيت في هذه الرسالة وشعرت أن الكاتب يريد أن يرفع عن نفسه إحجامه عن الانتقام ، لأن الذي أمامه هو قريبٌ له ، ومن ثم الانتقام منه أصعب ، إذ لو لم يكن كذلك لكان تعامله غير ذلك ؛ إذ سيكون انتقامه ميسماً يؤثر فيه تأثيراً كبيراً تتضح آثاره ويعرفها الناس ، ولن يحوها الزمن ، بل إن مكائماً يعد ظاهراً ، لا يمكن إخفاؤه ، كيف لا ومكائماً الأنف الذي من المحال تغطيته بساترٍ يستره .

ولذلك أتى هذا البيت بهذا الوضوح كأنه بيان وتوضيح لموقف هذا الكاتب ممن انتقص قدره ومكانته ، وهم أقرب الناس إليه .

والمأمل في توظيف الكاتب لبيت المتلمس في الرسالة السابقة يلمح أنه لم يشر إلى صاحب البيت ، وهذا يجعلنا نقول : إنه نوعٌ من أنواع التوظيف الكلي المعنى ، ومع ذلك فإن استرفاده للبيت جاء مؤكداً للمعنى ومضيفاً إليه دليلاً مثبتاً له من ناحية ، ومن أخرى شاهداً على عمق ثقافة كاتب الرسالة .

---

(١) النص . انظر : الذخيرة ، ق ١ ، مج ٢ ، ص ٦٩٧-٦٩٨ .

لغة البيت : أن التنقص معناه : تنقص الرجل ، وانتقصه أي : ينسب له النقصان والعرائن : جمع عرنين هو أول كل شيء ، وعرنين الأنف فيه شمم ، والميسم هو اسم الآله التي يوسم بها ، أي : يكوى ، واسم الأثر . أي : يريد هجوهم بمحاء يلزمهم لزوم الميسم في الأنف . الديوان ، ص ٢٠٩ .

المتلمس الضبعي : هو جرير بن عبد المسيح ، كنيته أبو عبد الله ولد عام ٥٢٥ م . انظر : مقدمة ديوانه ، ص ١٨-٢٠ ؛ وخزانة الأدب ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

## الأنموذج الثاني :

رسالة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال<sup>(١)</sup> يوجهها إلى أبي إسحاق السهلي<sup>(٢)</sup> ( هذا صديقنا الكاتب أبو إسحاق السهلي ، قد صدقُ فاله ، واثالث أنفاله ، فلا يخلو يوماً من نزع لبوس ، ونهابِ نُفوس ، ولقد ترشّح للشكر والشكْم ، وقعدَ ببسطة للحكم ، وفتح باباً في صدِّ البر ، وجعله لهديهِ السرِّ ... الخ آخر قوله ..

... رزقنا الله نفوساً مطمئنة ، ولا أعدمنا من لدُّنه فضيلةً ومُنَّة ، بعزته وقدرته ، وأما الكتب التي أعددتها ونحوي وفدتها ، فوالله ما لمحت لك قبل كتابك هذا من إشبيلية كتاباً ، ولا برحت بغيب الأيام فيك مرتاباً ، لا أتُحقق لك حِلاً ولا ترحالاً ، ولا أعلم لك على الحقيقة حالاً ، وليأسى من الغرض الذي أدرجته في هذا الوقت لم أعرض فيه بالتذكرة ، ولا عرضت بأمور غير مسفرة ، وعندنا رجاءٌ ، وعند الله منّ وجِبَاءٌ :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغبتَها

وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنَعُ<sup>(٣)</sup>

ولا بد لي من متابعة برك ، والإيضاح لي عن حِلْيَةِ أمرِك وكيف صدرت ، ومتى انحدرت والسلام )<sup>(٤)</sup> .

(١) أبو عبد الله بن أبي الخصال سبق التعريف به .

(٢) لم يعرف عنه سوى أنه صديق الكاتب .

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي . انظر : ديوان الهذليين ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الناشر : الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، ص ٣ .

وأبو ذؤيب الهذلي : هو خويلد بن خالد بن محرت بن زبيد بن مخزوم ، شاعرٌ فحل مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أشعر بني هذيل . انظر : الخزانة ، ج ١ ، ص ٢٢٢-٢٢٣ ؛ ومقدمة ديوان الهذليين ، ص ١ .

(٤) النص . انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٢٩٣-٢٩٤ .

## توظيف البيت في الرسالة :

إن إدراج هذا البيت في هذه الرسالة كان القصد منه أن يثبت لصاحبه مدى حرصه على ما أراحه ، وأن طبيعة النفس إذا ما ألزمت بشيء مهما قل ذلك فإنها حينئذٍ تلزم ما أردتها لها ، وأنه كما قال ( وليأس من الغرض الذي أدرجته ، في هذا الوقت لم أعرض فيه بالتذكرة ولا عرضت بأمورٍ غير مسفرةٍ ، وعندنا رجاء .. ) (١) .

ومن هنا يدرك المتأمل في توظيف الكاتب لبيت أبي ذؤيب في هذه الرسالة تمثله للفكرة التي أقام عليها الشاعر بيته ، ورسوخها في ذاكرته الأدبية الخاصة .

فوظفها في بناء رسالته وجعلها شاهداً على المعنى الذي رامه ، ومع أن الكاتب لم يشر إلى منجز البيت المسترفد فهذا يحملنا على القول من ناحية بأنه من ألوان التوظيف المعمى ، ومن أخرى نسوغ للكاتب ذلك لأنه من الأبيات السيّارة التي حملت جوهرًا مشرقياً خالداً .

---

(١) انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٢٩٥ .

لغة البيت : يحاول الشاعر أن يبعث في نفسه شيئاً من القرار ويتكئ عليها فتتماسك نفسه وينتظم كيانه ، خروجاً بما من دوامات القلق الطاحنة والحزن المستفز . انظر : قراءة في الأدب القديم ، للدكتور محمد أبو موسى ، ط ١ ، ١٩٧٨ م ، القاهرة ، ص ١٤٨ .

## الأنموذج الثالث :

رسالة لابن خفاجة في التعازي <sup>(١)</sup> في فصل منها :

مَحَارُ الفتي شيخوخة أو منيئة

ومرجوع وهَّاج المصايح رَمَدُ <sup>(٢)</sup>

ألا إنما الدنيا دارٌ كونٍ وفسادٍ ، وسوقٌ نفاقٍ وكسادٍ ، والعمرُ بالإنسان مضطرب ،  
والمرء موجٌ مع الأيام منقلب ، وإن للشبيبة صبوةً ، وللحدائث هفوةً ، وقُصارى الطيش ركانةٌ  
ووقار ، وأول قرّح الخيل المعار ، ولم أر كالشباب مطيئةً للجهل ، ولا كالمشيب فطنةً للعقل :

وإن نهارَ المرء أهدى لرُشده

ولكنّ ظلّ الليل أندى وأبردُ <sup>(٣)</sup>

فإن يكن الصبا حليةً تروغُ ، فإن الكبرة عطلة أو إمرة تروق :

صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسه

فلما علاه قال للباطل ابعُدِ <sup>(٤)</sup>

---

(١) ابن خفاجة سبق التعريف به . انظر مبحث معنى التوظيف ، ص ٢٠؛ الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ٢ ، ص ٥٥٨ .

(٢) البيت لابن الرومي . انظر : ديوانه ، مج ٢ ، شرح وتحقيق : عبد الأمير علي مهنا ، منشورات دار الهلال ، بيروت ، ط ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ١١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٢ . ويروى :

وكان نهار المرء أهدى لسعيه

ولكن ظل الليل أندى وأبردُ

(٤) البيت لدريد بن الصمّه . الديوان ، جمع وتحقيق : محمد البقاعي ، دمشق ، دار ابن قتيبة ، ط ١ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٥٠ .

لغة البيت : ( صبا الأولى بمعنى الصبا ، وصبا الثانية بمعنى ( الفتاء ) فيكون المعنى تعاطي اللهو والصبا ما دام صبيّاً ، فلما اكتهل وظهر الشيب في رأسه نحى نفسه عن الباطل . انظر : الديوان ، ص ٥٠ .

## توظيف البيت في الرسالة :

البيت يلخص تلخيصاً درامياً لرحلة العمر بالنسبة إلى هذا الرجل ، فقد وصف دريد أخاه أنه صبا ما شاء أن يصبو حتى كسا الشيب رأسه ، فلما كساه قال للباطل أو الهوى ( ابعده ) ، وهو جدلٌ يتصل بالحياة فلكل عمر سمته ، فإذا كان من سمة الشباب اللهو والانطلاق فإن من سمة المشيب التعقل والحكمة <sup>(١)</sup> .

والناظرُ للوهلة الأولى إلى البيت - في هذه الرسالة - يعتقد أنه لا يتناسب مع معنى التعزية وغرض الرسالة ؛ فهو يدور حول التصابي ونهايته ، والرجوع إلى دائرة الحق واليقين ؛ إلا أنه لا يلزم في مقدمته للرسالة التي استهل بها حديثه ، فأراد إيصال أفكاره منظمّة إلى المتلقي ، وفي ظني أن هذا من باب الاستطراد لدى الكاتب ؛ إذ يريد بيان أن الدنيا على الرغم من تعلق الإنسان بها ، وركوب المرء ما لا يحمد في مرحلة منها ، إلا أنه سرعان ما يؤوب لأن المآل إلى الموت ؛ وهذا ما ناسب ذكر البيت هنا .

ولقد نظر الشعراء منذ القدم إلى المشيب نظرة حزنٍ تبعث على تعزية النفس ، إذ كان في أعينهم نذيراً للفناء وخطاماً للمنية فأطالوا المكوث عنده متأملين بتعقل لقصة الفناء وقوتها الغالبة ، واستمر الشعراء في ذلك حتى عهدٍ متأخرة <sup>(٢)</sup> .

ومن هنا ندرك عمق الصورة التي قصد إليها الكاتب فجعل بيت دريد بن الصمة محوراً للفكرة التي بنى عليها رسالته فيكتمل المشهد بترابطها مع الغرض .

---

(١) الأدب الجاهلي قضاياه ، وفنونه ، ونصوصه ، د. حسني عبد الجليل يوسف ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، ص ٢٢٦ .

(٢) يقول الشريف المرتضى :

يقولون لي : لم أنت للشيب كاره ؟

فقلت : طريق الموت عند مشيبي

قربتُ الردى لما شـاب مفرقي

و كنت بعيداً منه غير قريب

فليس بكائي للشباب وإنما

بكائي على عمري مضى ونحيبي

انظر : الشهاب في الشيب والشباب ، للشريف المرتضى ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ،

ص ١٩٨ .

## الأنموذج الرابع :

رسالة لأبي عبد الله بن أبي الخصال مخاطباً بها أبا الحسين بن سراج<sup>(١)</sup>  
يعتذر : ( ... أستغفر الله من غربة ركبت مطاهاً ، ووصلت خطاهاً ، وأثرت قطاهاً ،  
وأنصت شبابي بل نضته ، وسلت مشيبي وانتضته ...

إلى قوله : وإسناداً من الاعتراف بحقك إلى كافٍ !

وعيدُ أبي قابوسَ في غير كُنهه

أتاني ودُونِي رَاكِسٌ والضواجعُ<sup>(٢)</sup>

فانطويت على حريق وتعللت برحيق ... الخ<sup>(٣)</sup> .

## توظيف البيت في الرسالة :

إن اختيار الكاتب لهذا البيت الجاهلي للشاعر النابغة يعطي مجموعة من المؤثرات :

- ١- إيمان الكاتب أن هذا البيت يعبر تعبيراً صريحاً عن الاعتذار لأن سياق القصيدة العام هو الاعتذار .
- ٢- يدل على أن الخوف والهلع قد بلغ به مبلغاً - إذ إن من المؤكد أن النابغة - صرح فيه بخوفه من بطش النعمان ، إن كان سياق البيت قد لا يتضح إلا بالبيت الذي بعده :

---

(١) أبو الحسين بن سراج بن أبي مروان بن عبد الملك بن سراج من أسرة قرطبية ، توفي سنة ٥٠٨هـ . انظر :  
الذخيرة ، ق ٣ ، مج ٢ ، ص ٨٢ ؛ وقلائد العقيان ، لابن خاقان ، ج ٣ ، ص ٦٢٣ ، ورايات الميرزين ، لابن  
سعيد ، ص ٧٤ .

(٢) البيت للنابغة الذبياني . انظر : ديوانه ، ص ٣٢ .

لغة البيت : ( " وعيدُ أبي قابوس " بين الشاعر سبب هم ، وقوله : في غير كُنهه ، أي : في غير وعيده ، وعلى  
قدر وعيده وعلى غير حقيقته ، ولم أكن بلغت ما يغضبه عليّ . راكس : واد . والضواجع : جمع ضاجعة وهي  
منحنى الوادي ، ومعطفه ، أي : أتاني وعيده على غير ذنب أذنبته فبت كالملدوغ خوفاً وهيبة منه وبينه  
راكس والضواجع ) . انظر : الديوان ، ص ٣٢ .

(٣) الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ٢ ، ص ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ورسائل ابن أبي الخصال ، ص ٣٥٨ .

## فبتُ كأني ساورتني ضئيلة

من الرُّقشِ في أنيابها السَّمُ نافعٌ (١)

ويقول : ( .. إن وعيدك أتاني وأنا آمن في قومي وبيني وبينك منازل لبني أسد ، ومن وراءهم . فألحق حفظاً للعهد ، وبت مسعداً كأنما لدغتنني أفعى .. ) (٢) .

٣- إن وعيد صاحبه مثل وعيد أبي قابوس " في غير كنهه " أي جاءني وعيده على قدر الوعيد وفي غير حقيقته ، أي : لم أكن بلغت ما يغضبه مني .. (٣) .

وكل هذه المؤثرات تدل على تمثّل الكاتب لبيت الشاعر تمثلاً جعله يحسن توظيفه بعد إعجابه به ، فطابقت فكرة البيت المعنى الذي حملته الرسالة ، بل إن المعنى الذي حمله بيت النابغة أضاف إلى الفكرة بعداً جعلها أكثر التصاقاً به .

---

(١) الديوان ، ص ٣٢ .

(٢) تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٨ ، ص ٢٩٠ .

(٣) الديوان ، ص ٣٢ .

## الأنموذج الخامس :

رسالة الكاتب ابن طاهر <sup>(١)</sup> في التعازي ( أني يُستطاع الكلام - أيّد الله مولاي - وقد اغيّرت الدنيا ، وأظلمت الآفاق ، ونُعيّ بالإسلام ، وعني به الحِمَامُ ، وقامت نوادبُه ، وأوحشتُ معانيه وجوانبُه ، ولكني أقولُ عن صُعدائها ، وللعين غصص بمائها ، وللنفس تنفسٌ من بُرحائها القدمات منقطع القرين ، وكالئ هذا الدين ، من كان - والله - يُنير إذا دجّت الخطوب ، ويشير إذا عنّ الهبوب ، ومن يملأ الأفواه طيبُ ثنائه ، ويملكُ القلوب بشر لقاؤه ، ومن كان يرهبُ الشركُ صَوْلتهُ ، ويخافُ العدوُّ وطأتهُ ، فبَرِدَ اللهُ ثراه ، وسقاه الحياةَ ورواهُ ، فلو يعلمُ التُّربُ ما ضمّ من كرمٍ ونائل ، وحلِمَ إذا خفّت الحلوم غير زائل ، لطاول السماءَ ، واعتنقَ الجوزاءَ ، ولقد قلتُ لما غالتني فيه الغوائل <sup>(٢)</sup> :

فما كان ما بيني لو أتني لقيتهُ

وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ <sup>(٣)</sup>

## البيت الموظف :

فما كان بينُ الخيرِ لو جاء سالماً

أبو حُجْرٍ إلا ليالٍ قلائلُ <sup>(٤)</sup>

(١) ابن طاهر هو : محمد بن أحمد بن إسحاق بن زيد بن طاهر القيسي أمير أندلسي أديب ، كان صاحب مرسية ،

وليها بعد وفاة أبيه ، وعنى بالأدب وأهله ، كان جواداً ممدحاً ، له كتاب " سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر " .

انظر : القلائد ، ج ١ ، ص ١٧٠ ؛ والإعلام ، ج ٥ ، ص ٣١٥ .

(٢) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٨٤ .

(٣) ينسب إلى قول النابغة . انظر : ديوانه ، ص ١٢٠ .

ويروى البيت :

( فما كان بين الخير لو جاء سالماً ) .

(٤) المصدر نفسه .

لغة البيت :

أي لو سلم من الموت لكان خير في حياته بسلامته ، وأبو حُجْر كنية للنعمان بن الحارث ، وقد مات ولم يقتل ؛

فكأنه مات في بعض عمله ، لا في مستقره ، لذلك قوله " لو جاء سالماً " . انظر : الديوان ، ص ١٢٠ .

## توظيف البيت في الرسالة :

في هذه الرسالة نلاحظ أن الكاتب وظّف بيتاً شعرياً ذكر أنه له حين قال " ولقد قلتُ لما غالتني فيه الغوائلُ " وهذا عند ابن وكيع أقرب إلى السرقة كما قال <sup>(١)</sup> " أخذُ اللفظ المدعى ومعناه معاً " فهو مأخوذ من قول النابغة يرثي النعمان بن الحارث :

فما كان يبين الخير لو جاء سالماً

أبو حُجْرٍ إِلَّا لِيَالٍ قلائِلُ <sup>(٢)</sup>

وظاهرٌ كيف أن المعاني في البيت الواحد والألفاظ متقاربة ، وإن تصرف فيها ابن طاهر " إن مقصود النابغة لو سلم من الموت لكان أي خصب وخير مع حياته وسلامته " <sup>(٣)</sup> .  
وقد ورد في رثاء الحطيئة لعلقمة بن علاثة <sup>(٤)</sup> :

وما كان يبني لو لقيتك سالماً

وبين الغنى إِلَّا لِيَالٍ قلائِلُ

وإذا كان أبو هلال العسكري في الصناعتين ، وابن وكيع صنفاً مثل هذا في باب السرقات أو النسخ فإن غيرهم من النقاد <sup>(٥)</sup> أسموه توارداً ، يتفق فيه الشعراء في عصرٍ واحد ، أو عصرين متباينين <sup>(١)</sup> .

---

(١) المنصف في نقد الشعر ، لابن وكيع ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دمشق ، دار قتيبة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٣٨ .

(٢) ديوان النابغة ، ص ١٢٠ .

(٣) نفسه .

(٤) انظر : ديوان الحطيئة شرح ابن السكيت (١٨٦-٢٤٦هـ) ، تحقيق : د. نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٣٦ .

(٥) من أمثال ابن حجة الحموي في الخزانة .

(١) انظر : تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر ، وبيان إعجاز القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، تقديم وتحقيق : د. حفني محمد شرف ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ ، ص ٤٠٠ .

على أن الباحثة ترى أن ذلك من قبيل اندماج الكاتب مع محفوظه الشعري الذي لم يستطع التفلت من إساره ؛ فسرعان ما انثال على لسانه متطابقاً مع صنوه القديم في الصورة ، متوافقاً معه في اللفظ والمعنى ، ومثل هذا التوظيف يشي بقوة إعجاب هؤلاء الكتاب بأسلافهم القدماء ، كما أن الباحثة تحسن الظن بالكاتب . وهنا يكون مقصده : ولقد قلت على لسان الشاعر النابغة ، لاسيما أن البيت لشاعر مشهور .

\* \* \*

ومن خلال ما تقدم يتأكد للباحثة أن كتاب الرسائل الإخوانية في هذا القرن وثيقو الصلة بترائهم الشعري في العصر الجاهلي ، حيث استطاعوا توظيف ثقافتهم الأدبية الخاصة التي تنتمي إلى الشعر الجاهلي في رسائلهم الإخوانية قاصدين إلى ذلك قصداً ، بغية إضافة بعدٍ فنيٍّ إلى رسائلهم .

المبحث الثاني :

التوظيف الجزئي

للمسائل الإخوانية

## مدخل :

قبل الدخول في استعراض التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية تنهض في ذهن الباحثة بعض التساؤلات حول كيفية توظيف الكتاب للشعر المسترشد من الشعراء الجاهليين ، وهل هو عن طريق استرشد شطر من البيت ، أو صورة وردت في البيت ، أو معنى بلفظه أو بدون لفظه ، أو تحوير للشطر الشعري ؟ وهل حققوا هدفاً فنياً من وراء ذلك التوظيف .

وهو ما تحاول الباحثة تتبعه في ثنايا الرسائل الإخوانية التالية :

## الأنموذج الأول :

رسالة الوزير الكاتب أبي القاسم بن الجد<sup>(١)</sup> يعارض فيها بعض إخوانه : ( حَسُنْتَ لَكَ يا سيّدي أبا الحسين<sup>(٢)</sup> ضرائب الأيام ، وتشوّفت نحوك غرائبُ الكلام ، واهتَزَّتْ لمكاتبتك أعطافُ الأفلام ، وجادت على محلّك ألطافُ الغمام ، وأشادت بفضلك ونبلك أصنافُ الأنام ، فإن كان روضُ العهد - أعزّكَ اللهُ - لم يُصِبه من تعهدنا طلّ ولا وابل ، ولا سجعت على أيّكهِ وُرقٌ ولا بلابل ، فإن أزهاره على شِربِ الصفاء نابتة ، وأشجاره في تُربِ الوفاء راسخةٌ ثابتة ، وقد آن الآن لِعُقمِ شجرةٍ أن تُطلَع من الثمر ألواناً ، ولِعُجمِ طيره أن تُسمع من النغم ألحاناً ، بما سقط إليّ ، ووقع عليّ ، من طائرٍ شهيٍّ الصغير ، مبنى الاسم على التّصغير ، فإنه رجَع بذكر حيناً ، وابتدع في نوبةٍ شكرك تلحيناً ، وحركَ من شوقي إليك سكوناً ، ودمّت في قلبي لودّك رُكوناً ، ثم أسمعني أثناء ترثمه كلاماً وصف به نفسه ، لو تغنّت به الورقاء ، لأذنت له العنقاء ، أو ناح بمثله الحمام ، تبكي لِشجوه الغمام ، أو سمعه قيس بن عاصم في نأديه ، وبين أعاديهِ ، لحلّ الزمّع حُباه واسترد الطربُ صباه ، فتلقيت فضل صاحبه بالتسليم ، واعترفت بسبقه اعتراف الخبير المقيم .

وبعد فإني أعودُ إلى ذكر ذلك الحيوان الفريد ، والشيطان المرید فأقول : لئن سَمّي بالزريزير ، لقد صُغر للتكبير كما قيل " حُرَيْقِص " وسِقَطُهُ يَحْرِقُ الحَرَج ، " ودويهيّة " (٣) وهي تلتهم الأرواح والمهج .. ) (٤) .

(١) أبو القاسم بن الجد هو محمد بن عبد الله بن الجد الفهري من أهل التنن في المعارف والعلوم والأدب والبلاغة (ت٥١٥هـ) . موسوعة شعراء الأندلس ، ص٢٦٧ ؛ قلائد العقيان ، ج١ ، ص٣٢٢ ؛ الذخيرة ، ق٢ ، مج١ ، ص٢٨٥ .

(٢) يقصد به أبا الحسين بن سراج سبق التعريف به . انظر : مبحث التوظيف الكلي للرسائل الإخوانية، ص٦١ .

(٣) نسبة إلى قول لبيد بن ربيعة العامري . انظر : الديوان ، تحقيق : إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٧٢م ، ص٢٥٦ .

(٤) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق٢ ، مج١ ، ص٣٤٨-٣٤٩ .

## البيت الموظف :

لِكُلِّ أَناسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ

دَوِيهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ<sup>(١)</sup>

## توظيف البيت في الرسالة :

وظف الكاتب هنا البيت واستطاع أن يدخله في نسق هذه القصيدة الإخوانية ، وكان التوظيف جزئياً ؛ إذ أتت الإشارة إليه لفظاً ومعنى ، أما اللفظ فإتيانه ( بدويهية ) وهي وإن كانت لفظة قليلة الاستعمال إلا أنها موجودة في اللغة ، وارتبطت قلتها ببيت لبيد حتى أصبحت جزءاً من ذاكرة المتلقي إذا ما ذكرت ارتبطت بلبيد وبيته .

وأما المعنى فإن لبيداً وإن قال : تصفّر منها الأنامل فإنها تعطي دلالة على النهاية الحتمية لارتباط اصفرار الأنامل بالموت ؛ لذا أتى الكاتب هنا وقال : تلتهم الأرواح والمهج ، وأتت موازية لتصفّر منها الأنامل ، أما الاتهام للأرواح والمهج فهو دلالة النهاية .

وهكذا وظف هذا البيت بما يخدم المعنى الذي رامه الكاتب .

---

(١) لغة البيت : يعد هذا البيت شاهداً على تصغير دويهية للتعظيم ، والدليل على أن الشاعر أراد بها الموت هو قوله " تصفّر منها الأنامل " أي الأظافر . والتصغير هنا يراد به التكبير . انظر : ديوان لبيد ، ص ٢٥٦ .

## الأنموذج الثاني :

رسالة كتبها الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة<sup>(١)</sup> وكان بينه وبين بعض إخوانه مقاطعة ، فاتفق أن ولي ذلك الصديق حصناً فخاطبه أبو إسحاق برقعةٍ منها<sup>(٢)</sup> : ( أطال الله بقاء سيدي ، النبيهة أوصافه التزيهة عن الاستثناء ، المرفوعة قيادته الكريمة بالابتداء ، ما انخرفت ياء " يرمي " للحزم ، واعتلت واو " يغزو " لموضع الضم كتبت عن ودد قدم هو الحال لم يلحقها انتقال ، وعهد كرم هو الفعل لم يدخله اعتلال ، والله يجعل هاتيك من الأحوال الثابتة اللازمة ، ويعصم هذا بعد من الحروف الجازمة ، وأنا أستنهض طولك ، إلى تجديد عهدك بمطالعة ألف الوصل ، وتعدية فعل الفصل وإلى عدوك عن باب ألف القطع ، إلى باب ألف الوصل والجمع ، حتى تسقط ، لدرج الكلام بيننا هاء السكت ويدخل الانتقال حال الصمت ، فلا تتخيل - أعزك الله - أن رسم إخائك عندي ذو حسي قد درس عفاء<sup>(٣)</sup> ، ولا أن صدري دارمية أمسى من وذك خلاء<sup>(٤)</sup> ، وإنما أنا فعل إذا تني ظهر من ضمير وده ما بطن ، وبدا منه ما كان كمن ... الخ الرسالة ) .

## البيت الموظف :

أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا

أخني عليها الذي أخني على لبد

(١) سبق التعريف به .

(٢) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ٢ ، ص ص ٥٤٦-٥٤٧ .

(٣) من قول النابغة . انظر : ديوانه ، ص ١٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٠ .

لغة البيت : يبكي النابغة الخصب والنعمة والثراء ، وكلها أماكن ومسائل ماء . ذو حسي : سهل من الأرض يستنقع فيه الماء . والتلاع : الأرض المرتفعة ينصب فيها الماء في الأودية . ودوافعها : هي ما تدفع تلك المياه ، وفرتي : منازل فرتي ، وهو أصلاً ولد الضبع . انظر : الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء ، للدكتور محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، ص ص ٤٦٥-٤٦٦ .

عفا ذو حُسى من فرتنى ، فالفوارعُ

فجنبا أريك ، فالتلاعُ الدوافعُ

### توظيف الأبيات في الرسالة :

بعد أن أغرق ابن خفاجة في الرسالة الإخوانية السابقة في استعراض ثقافته النحوية ، يأتي على توظيف الشعر فيها تابعاً لذلك الاستعراض ، وهو من قبيل التوظيف السطحي الذي تنثال فيه الأبيات المكونة في الذاكرة على اللسان ، وكأنه يتبع استعراضه لما سبق بمحفوظه من الشعر العربي القديم ، دون أن يضيف إلى آلية التوظيف جديداً ، سوى أنه أتى على ذكر الأماكن التي ذكرها صنوه المشرقي ( ذو حُسى ، دارُ ميّه ) ، وكيف أنها صارت دارسةً وعفاءً ، وخلاءً كما ورد في الأبيات .

## الأنموذج الثالث :

رسالة الكاتب ابن طاهر <sup>(١)</sup> في الإخوانيات : ( أمّا جُنُوحِي إِلَيْكَ ، واعتدادي واقتصاري عليك واعتماداي ، فقد وضح نهاره ، وتفتّح بهاره ، ما المسكُ إلا دونه ، وكثيرٌ له أن يكونهُ ، وقد علمتُ أُنِي واليتُ أميرَ المسلمين وناصرَ الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين <sup>(٢)</sup> فيما منيتُ به من الأهوال ، وتصرفِ الأحوال ، فأخر أمره المقدار وليس للمرء الخيار ، وناديتُهُ الآن نداءً مستصرخٍ قد انقطعت به الأسباب والعُلق ، وزهقَ منه الرّمق ، ومثلك في علوِّ النصاب ، وشرف الانتساب ، أعار بياني عنده بسطاً ، ونصّ عليه من اختلالي فرطاً ، ودعاه إلى ما يجده عند الله مُحضراً يوم القيامة ، وما يبقى إلاّ الأحاديثُ الذّكر <sup>(٣)</sup> ، ولك بما تأتيه المنّ والشكر ، ثم لا يزالُ له به دعاءٌ مرفوع ، وثناءٌ على أعجاز الركائب موضوع... الخ ) <sup>(٤)</sup> .

## البيت الموظف في الرسالة :

أماويّ إن المالَ غـادٍ ورائح

ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذِّكرُ <sup>(٥)</sup>

(١) سبق التعريف به .

(٢) يوسف بن تاشفين بن إبراهيم المصالي اللمتوني ، الحميري (٤١٠-٥٠٠هـ) غزا الأندلس فصالحه أهلها على الطاعة ، وتوفي بمراكش . انظر : القلائد ، ج ١ ، ص ٧ .

(٣) من قول حاتم الطائي . انظر : ديوانه ، تحقيق : عادل سليمان جمال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، ص ١٩٩ .

(٤) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٥٦-٥٧ .

(٥) نبذة عن الشاعر حاتم الطائي :

هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن خزام الطائي ، الجواد الشهير ، وأحد شعراء الجاهلية ، يكنى بأبي عدّي . انظر : الخزانة ، ج ٣ ، ص ١٢٧ .

لغة البيت : ذكر الشاعر هنا البيت معاتباً زوجته التي حاولت كثيراً أن يكفكف يده من شدة كرمه وسخائه ، لمن يعرف ولا يعرف ، وحاول الطائي أن يشرح لها أن المال غادٍ ورائحُ ، وأن الذي يظل هو ذكر الإنسان الطيب وعمله الصالح . انظر : في الشعر الجاهلي ، تحليل وتذوق : إبراهيم عوض ، القاهرة ، ط ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، ص ٨٥ .

## توظيف البيت في الرسالة :

ظاهر أن الكاتب أتى بجزءٍ من لفظ البيت ، ( ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذكرُ ) بينما الكاتب يقول ( وما يبقى إلا الأحاديث والذكر ) حيث طوعه في سياق الرسالة ، وقد نقل معنى البيت من الكرم الذي أراده الشاعر أن يكون دلالة على بقاء ذكر الكريم مهما تباعدت الأزمنة ، فصاحب الكاتب موازٍ للكرم ، فوجوده معه يرسخ الأحاديث والذكر ، مثلما يذكر الكريم بكرمه ، كذا صاحب الرسالة بذكره لصاحبه إذ هو من الشهرة . يمكن لذا وازاه بالكرم .

وإن ظهرت المبالغة إلا أنه لا يمكن أن يكون ذكر البيت هنا إلا تحية من الكاتب إلى ذلك الكريم ، فأجاد الكاتب استلهام بيت حاتم ووظف جزءاً منه ، وحذف المال وأقام مقامه وجود صاحبه ، وغير ما استدعى السياق تغييره مع المحافظة على المعنى ، وهو من أجمل التوظيفات التي أتت في سياق التحوير ، وأدرجت في التوظيف الجزئي .

## الأنموذج الرابع :

رسالة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال ، وهي رسالة جوابية إلى أحد الفقهاء القضاة عن رسالتين وردتا إلى الكاتب من أحد ذوي الشأن لم يسمه ، ولم يترك صفة مميزة له <sup>(١)</sup> : ( أطال الله بقاء عمادي الأعلى ، ومصادي في الجلى ، في سعدٍ يُتملى ، وإقبالٍ لا يتولى ، ولا زال يقدح زند الإحسان ، ويحمل لواء البيان ، رب حقوق منعت من حقوق ، وبرٍ في ثياب عقوق ، ورأزح فدحه الطول ، وصامتٍ بهره القول ، ذي لسانٍ عقلمته غيبتك ، وجنانٍ ملكته هيبتك ، غادرته نفثاتك ممتعاً ، ولم تترك له في سماء الفكر مُطلعاً ، ظننت به جفاءً ، وإنما صمت برّاً واحتفاءً ، ولو شئت لنهجت هُداه ، وقربت مداه ، بكلامٍ يُطمعه ، ومرامٍ يخدعه ، ومساقٍ لا يقطعه ، وما توقفتُ - علم الله - إلا إجلالاً ، وإني لا أجد في هذا الباب مجالاً .. إلى آخر قوله : ....

وأما عودك لتلك الحال المأمولة ، والدولة المأنوسة المأهولة ، فالقدرُ فيه يهيلُ محسناً ، ويُديلُ منعماً ممعناً ، وإنما لدعوة سعدٍ ، وحبیب زار على غير وعدٍ ، وهذا حظٌ أدناه يؤذنُ بأقصاه ، وأولاه تومئُ إلى منتهاه ، والله يُيمنُ ذلك السَّفَرَ ، ويؤثك صورَ المجدِ أكبرَ أكبر <sup>(٢)</sup> بعزته ... الخ الرسالة ) .

## البيت الموظف في الرسالة :

وكنّا أناساً قبل غزوة قَرْمَلٍ

ورثنا الغنى والمجد أكبرَ أكبر <sup>(٣)</sup>

(١) نص الرسالة . انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) إشارة إلى قول امرئ القيس . انظر : ديوانه ، ص ٧٠ .

(٣) لغة البيت : يصف هنا الشاعر شرفه المتوارث القديم الذي لم يقدح فيه ذم ، ولا لصق به عيب قبل غزوة قرملة ، وهو ملك من ملوك اليمن ، كان قد غزا قوم امرئ القيس أو غزوه ، فنال منهم وظفر بهم . انظر : الديوان ، ص ٧٠ .

## توظيفه في الرسالة :

هنا نلاحظ أن الكاتب يوظف هذا البيت لامرئ القيس توظيفاً جزئياً يدل على حرفيته ، وعمق ثقافته في الشعر القديم .

إذ لا يلمح ذلك إلا القارئ الفطن ، حيث استعان الكاتب بجزء من شطر بيت أدخله في الرسالة مع اختلاف المراد من شطر بيت امرئ القيس كما مر .

إذ هو دلالة فخر ... ورثنا ... بينما هنا دلالة أمل ( تومئ ) إلى منتهاه ، والله يمين على ذلك السفر ويوثك صور المجد أكبر أكبر ... (١) .

أي يجعلك في صورته زيادة بعد زيادة ، وهكذا يتجاوز المعنى من بيت امرئ القيس إلى عبارة الكاتب لتصبح العبارة جزءاً من نسج الجملة التي كتبها الكاتب .

---

(١) انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٩٠ .

## الأنموذج الخامس :

رسالة للأديب أبي عبد الله محمد بن مالك الطغثري<sup>(١)</sup> خاطب بها والد غلام تناول برّه في الحمام قال فيها<sup>(٢)</sup> : ( ولا ظهير إلا فريخٌ لي رطيبُ العظام ، لم يقنأ دمه ، ولا ثغر فمه ، ولا انعقد مُخّه ، ولا دعاه من الشباب شرخه ، فعلى هذه الحال ما وكلّ في النجيب ابنك ، دامت به قرّة العين ، عيناً راغية وبترجيعي على علاة الحال أذنأ واعية ، فانتاشني من ذلك المقام بيدٍ طالت أيدي المتطاولين إلى رُكني ، في سماء بُعدَ على أرشية الأذرعِ هواؤه ، وقعد عن القائم ماؤه ، فوشكان ما استفرغ لي منه جمّة المجهود ، وقربَ العدم من الوجود ، وطاف عليّ منها بأكوابٍ كما رأيت مقلة المشرق في دمعها المغرق ، وسمعت بجايبة الشيخ العراقي تفهق<sup>(٣)</sup> وطرفَ ذلك بنبذٍ من أدبه البارِع ... الخ الرسالة ) .

## البيت الموظف في الرسالة :

نفى الذمّ عن آل المخلّقِ جفنةً

كجايبة الشيخ العراقيّ تفهق<sup>(٤)</sup>

## توظيفه في الرسالة :

هنا يوظف الكاتب هذا الجزء من شطر بيت الأعشى ، وهي صورة التقطها من ذلك العمق التاريخي رُفد بها مراده ( من التفهق وهو يأتي بمعنى التكلف والتشادق وملء الشيء بالشيء )<sup>(٥)</sup> .

(١) أبو عبد الله محمد بن مالك الطغثري من أدباء غرناطة ، ذكره ابن بسام ، ولم يقف على نماذج له كثيرة ، وعلى الرغم من ذلك فله حفظٌ كثير وأدبٌ غزير . انظر : الذخيرة ، ق ١ ، مج ٢ ، ص ٨٠٧ .

(٢) النص . انظر : الذخيرة ، ق ١ ، مج ٢ ، ص ٨٠٧ .

(٣) يُنسب إلى قول الأعشى . انظر : ديوانه ، ص ١٣٠ .

(٤) لغة البيت : التفهق : التكلف والتشادق ، وملء الشيء بالشيء . انظر : قراءة في الأدب القديم ، لمحمد أبو موسى ، ص ٢٨٥ .

(٥) ديوان الأعشى ، ص ١٣٠ .

وقد تنسب إلى الثرثرة وذلك إشارة إلى الحديث الشريف " إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقاً ، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون ، والمتفيهقون " (١) .

وواضح أن الثرثارين ليس حقيقةً في معنى الذين يكثرون الكلام في بيت الشاعر وإثما استعملت هنا مجازاً ، فيقصد بها الإكثار والمبالغة في الشيء (٢) .

ولكن الكاتب قد قصد بها معنى المبالغة في البر ، مبالغة ممقوتة ، وربط بينها وبين الإكثار من الكلام .

فالمبالغ في كلتا الحالتين تجاوز الحدود المشروعة ، وأصبح فعلاً في رسالة الكاتب ممقوتاً .  
( والمتفيهق غثٌ سمج باردٌ وثقيل ) (٣) فظهرت لدينا صحة المقابلة بين المعنيين الذي أراداه الكاتب وما أراداه الشاعر ، وعلى هذا النحو يضيف الكاتب إلى رسالته الإخوانية ، بهذا التوظيف الجزئي ، بعداً فنياً ينم عن ثقافة أدبية مستمدة هنا من الشعر الجاهلي .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مج ٤ ، دار صادر ، بيروت ، ص ١٩٣ ؛ ورياض الصالحين في كلام سيد المرسلين ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٤٨٣ - ص ٤٨٤ .

(٢) قراءة في الأدب القديم ، ل محمد أبو موسى ، ص ٢٨٥ بتصرف .

(٣) المصدر نفسه .

## الأنموذج السادس :

رسالة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال وهي رسالة مطوّلة إلى فقيه العصر أبي بكر ابن العربي<sup>(١)</sup> : ( الفقيه الأجلّ ، الإمام بمناقب الثّواقب ، وكرمه المتعاقب وسؤدده المتناسق المتصاقب ، لا يُخفّر لديه الذّمّام ، ولا تُبليّ جدّة ودّه الأيام ، يلم الإخوان على شعث<sup>(٢)</sup> وينبعث إلى صلتهم كلّ مُنبعث ، ويغفر عوّاء الصديق ، ويأذن لعذره إذن التصديق ، ولا يلزم الضعيف ذنب المطيق، ويرتفع جلاله عن الظن ، ولا يكدر معرفه بالمنّ ، لاسيما عند من يعرف ويعترف ويمضي في سنن شكره ولا ينحرف ، فأما الكفر فهو لنفس المنعم مخبثة<sup>(٣)</sup> ، ولدفين الاعتداد مثاراً ومنبثة .. الخ الرسالة )<sup>(٤)</sup> .

## الآبيات الموظفة في الرسالة :

١- ولست بمستبقٍ أحاً لا تلمّه

على شعثٍ ، أيُّ الرجال المهذب<sup>(٥)</sup>

٢- بُنيتُ عمراً غيرَ شاكرٍ نعمتي

والكفرُ مخبثةٌ لنفسِ المنعم<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) القاضي الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد العربي المعافري الإشبيلي ، المالكي ، (٤٦٨-٥٤٣هـ) وهو من وجوه الفقهاء في الأندلس ، وعلمائها ، توفي قرب فاس بالمغرب . انظر : رسائل عبد الله بن أبي الخصال ، ص ١٨٣ ، وقلائد العقيان ، ج ٣ ، ص ٦٩٢ ، والمغرب في حلى المغرب ، ج ١ ، ص ٢٥٤ .
- (٢) يُنسب إلى قول النابغة . انظر : ديوانه ، ص ٧٤ .
- (٣) يُنسب إلى قول عنترة بن شداد . انظر : ديوانه ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، ط ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، بدون (م.ط) ، ص ٢١٤-٢١٥ .
- (٤) نص الرسالة . انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ١٨٣ .
- (٥) ديوان النابغة ، ص ٧٤ .
- (٦) ديوان عنترة ، ص ٢١٤-٢١٥ .

## توظيف الأبيات في الرسالة :

تأتي هنا قدرة الكاتب في توظيف بيتين لشاعرين جاهليين من شعراء الجاهلية - كما مر - النابغة وعنترة ، وقدرته أيضاً أتت من التحوير للمعنى ، والتصرف فيه تصرفاً قلبه إلى الزاوية الأخرى ، إذ معناه أتى منفياً : ( ولست بمستبق أحاً لا تلمه ) ، فحوّله الكاتب إلى إثبات ليتناسب مع مراده ، ولست باحثةً هنا عن دلالة الألفاظ ، ولكن يُلاحظ بوناً بين الفعل والاسم في قوله ( الشعث - تلم ) بما توحى به الصورة من تنافر بينهما .

ولكن الكاتب كأنما تعمّد أن يأتي بالفعل ( تلم ) من الشطر الأول وحذف أداة النفي ثم أتى بلفظة ( شعث ) من الشطر الثاني وما تدل عليه من معنى الفرقة ، ثم أخذ " أحاً " وجمعها على إخوان ليصل إلى هدفه من هذا التوظيف ، وهنا تأتي مكانة الأديب ومقدرته في أخذ ما يخدمه من النصوص وحسن توظيفها بما يتناسب مع المعنى الذي أراد إيصاله .

أما البيت الثاني فهو لعنترة وهو :

نبئت عمراً غيرَ شاكرٍ نعمتي

والكفرُ مخبئةٌ لنفسِ المنعمِ

ويلحظ أن الكاتب كأنما انتقل من معنى إلى معنى ؟ إذ كان في السابق مشيداً بفضل ابن العربي وعدله وحرصه على لمّ الشعث ، ثم نراه ينبّه إلى قضية من القضايا الاجتماعية والنفسية المهمة ليبدأها ( بأما ) فكأنما لا علاقة لها بما سبق لأوّل وهلة ، ولكنها - في رأيي - وإن كان ذاك ظاهرها إلاّ أنّها تنبئ عن زيادة صفة من الصفات للممدوح ، وقد أجاد الكاتب في استقطاع ما يخدم هدفه ، وقدم وأخر في نسق بيت عنتره ليضبط السجعة ؛ وذلك مطلبٌ فني

أشار إليه الكلاعي حيث قال : " إذا ضمّن الكاتب في رسالته أشعاره كان يوافق بين قافيتها وبين السجع الذي قبلها ليعلم بذلك أن الشعر له ، وكان إذا ضمن أشعار غيره خالف بين السجع والقافية وهو حسنٌ يجب أن يتمثله من أراد إحكام صنعة الكلام ) (١) .

وهو ، مثلما أشرت ، دالٌ على التنبيه إلى خطورة هذه القضية نفسياً واجتماعياً ، وهكذا تتبدى لنا مقدرة الكاتب بعد أن هضم ما استرفده من أشعار الجاهلين ، ومن ثم أحسن تمثلها بهذا التوظيف الفني الذي يعتمد على الجزء والتحوير بعد التقاط ما يخدم المعنى الذي رامه.

---

(١) إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس ، لأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، ط٢ ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٧١-٧٢ .

## الأنموذج السابع :

رسالة لأبي عبد الله بن أبي الخصال <sup>(١)</sup> ( أطالَ اللهُ بقاءك ومقاليدُ المجد تُلقى إليك ،  
ووفود الحمد وقف عليك ، وأزمةَ الفضل في يديك ، ولا زلت للمبهمات فارحاً ، ولسبل  
المكرمات ناهجاً ، ناهضاً بالبزلاء ، صوراً على العزاء ، كتبت والأحوال التي استطلعها  
اهتباك ، واستهدى علمها إجمالك ، في ريعان ظهورها ، وشرخ شباب نورها ، والله بفضله  
يعيدنا فيها من عين الكمال ، ويدم لنا حال الاستواء والاعتدال ، وإن الخطاب الكريم فجره ،  
المنير فجره ، الذكي نشره ، وافى قريباً بالسيادة عهدُه ، مطرّزاً بالبلاغة بردهُ ، فوردتُ منه  
معيناً ، واجتليتُ به من البيان سحراً مبيناً ، ومثلك أهدى مثله ، ووالى فضلهُ ، وتابع بذله ،  
وأتبع دَلْوَهُ في السَّمَّاحِ رِشَاءَهَا <sup>(٢)</sup> ، رُسِماً إلى همم أملاك جُعِلَ إزاءها <sup>(٣)</sup> والله لا يُعِدمني الأَنس  
طالِعاً من أفقك ، ... الخ الرسالة ) .

## الآبيات الموظفة في الرسالة :

إذا ما اصطحبتُ أربعاً خَطَّ مِئزَرِي

وأَتَبَعْتُ دَلْوِي في السَّخَاءِ رِشَاءَهَا

ثَأَرْتُ عَدِيّاً وَالخَطِيمَ فَلَمْ أُضِغْ

وَلَايَةَ أَشْيَاءٍ جُعِلَتْ إِزَاءَهَا

( وتروى ولاية أشياخ ) .

(١) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ٢ ، ص ٨٠٠ ولم يشر صاحب الذخيرة إلى من أرسلت إليه هذه الرسالة سوى بقوله بعض إخوانه . ولا وجود للنص في كتاب ابن أبي الخصال .

(٢) ينسب إلى قول قيس بن الخطيم ، ديوانه ، تحقيق : ناصر الدين الأسد ، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، ط ١  
١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، ص ٤٢ ، ص ٤٣ .

(٣) المصدر نفسه .

## توظيف البيت في الرسالة :

في هذه الأبيات يظهر بوضوح إعجاب الكاتب بالشعر الجاهلي وتأثره الشديد به ، حيث يعتمد إلى توظيف بيتين جاهليين لقيس بن الخطيم<sup>(١)</sup> ، في رسالة واحدة ، توظيفاً جزئياً يتوافق مع المعنى الذي تدور حوله الرسالة ، ويحقق مطلباً فنياً يسعى وراءه الكاتب ، فينثر المنظوم مستعيناً بذلك على إظهار الفكرة .

ففي الأول : يسترشد الصورة التي جاءت في عجز بيت الشاعر ( وأتبعْتُ دلوي في السخاء رشاءها )<sup>(٢)</sup> بقوله ( وأتبع دلوه في السماح رشاءها ) ويمزج المعنى المراد وفق تصور دقيق لهذه الصورة الراقية التي أراد الكاتب نعت هذا المرسل إليه بهذه الصفات ، ووصف طريقته في البذل والعطاء بصورة تراثية ترتبط مع وشائج قديمة ، لتعبّر عن مكنون حديث فهي صفات تليق بهذا الممدوح الذي أرسل إليه ابن أبي الخصال رسالته مدوناً إياها بهذا البيت الذي يخلد معنى العطاء ويرسخه .

ويعود الكاتب ليؤكد مرةً أخرى إعجابه بسلفه المشرقي ، فيواصل استلهام الصورة من عجز بيته الذي يتلو البيت السابق حيث يقول فيه الشاعر ابن الخطيم ( ولاية أشياء جعلت إزاءها ) فيوظفه في قوله ( وسما إلى همم أملاك جعل إزاءها )<sup>(٣)</sup> .

---

(١) نبذة عن صاحب الأبيات : هو قيس بن الخطيم بن عدّي بن عمرو بن سواد الشاعر الفارس الأنصاري من شعراء الجاهلية أدرك الإسلام وترث قبل قبوله . انظر : الخزانة ، ج ٧ ، ص ٣٤ ؛ والأعلام ، للزركلي ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ .

(٢) لغة الأبيات : خط مغزري أي جررت ثوبي من الخيلاء . وأتبعت الدلو رشاءها أي أتبع الفرس لجامها ، وهو مثل يضرب للرجل الذي يقضي معظم حاجته وتبقى منها بقية لم يقضها . انظر الديوان ص ٧٢-٤٣ .

(٣) ( جعلت إزاءها ) أي جعلت القيم بها يقال هو إزاء مال أي يقوم عليه . فالشاعر يفتخر بثأر قاتلي جدّه وقيامه من ثم بتحمل المسؤولية التي ألقيت على عاتقه بعد موتهما ، وهي الأخذ بالثأر . انظر : الديوان ، ص ٤٢-٤٣ .

فبعد أن كان توظيف البيت الأول دالاً على صورة العطاء والبذل المسترفد من بيت ابن الخطيم ؛ فإن الكاتب ينتقل إلى صورة المسئولية والافتخار بنوعية العمل ويمزج ذلك في ربطٍ محكم بشعوره بعظمتها ، وكذا مسئولية الأخذ بالثأر التي حملها الشاعر على عاتقه .

فيضع هذه الصورة إزاء الصورة التي قصد إليها حيث جعل المرسل إليه ، وهو مجهول في هذه الرسالة ، متحملاً لمسئولية الأملاك التي أنيطت به ؛ وبهذا يكون الكاتب قد عمد قصداً إلى تأكيد المعنى الذي رامه من خلال توظيف هذه الأبيات .

## الأنموذج الثامن :

رسالة الكاتب أبي مروان بن أبي الخصال <sup>(١)</sup> راداً على رسالة لأبي مروان بن زكريا <sup>(٢)</sup> :  
( أطال الله بقاءك وعزك منيع ، وجنابك وسيع ، والزمان بمحاسنك ربيع ، كتبتُه وقد وصلت  
معجزاتك ، وبهرت آياتك ، مع بشرى تخلصك للوطن ، واشتياقك للزمن من بعد شدائد  
شمت برقتها ، وسقيت ودقها ، وبتمدرجة سيوها ، كالحبّة في حميلها ، حتى كدت تكون  
فيها زبداً رايياً ، وغثاً طافياً ، لولا وجار أضمر كالسقط في زنده ، والتصل في غمده ، إلى  
سائر ما أوردت من أوصاف المطر ، وعوائق السفر ، فوددت من غير شيء يضيرك أن يمتد  
مسيرك حتى تقص فأسمع سحر بيانك ، وأجد حكمة من لسانك ، وإن سلامتك هي سلامة  
المجد ، ومطلقة لسان الحمد ، وقد كنا بعدك في أحوال مختلفة ، وأمور لا تحضر بصفة ، فأول  
ذلك غمام تتبع ذا المحل فشفاه ، وعفا على آثار الجذب فأنساه ، وضرب مزنه ميت النبات  
فأحياه ، حتى إذا أشفى البسيطة ، وألبسها زيها فجاب عن عصب نشره على النجد والغور ..  
الخط إلى قوله ..

والضباب قد ولى عليها أنفاقها ، وأعجزها عن النجاء فساقها ، ومن على الشنافية  
فألقي بركه على البرك هجوداً ، وأمطرها من الموت سحاب سوداً ، وأكبها على الأذقان <sup>(٣)</sup>  
ولم تنو سجوداً فمصارعها هناك قد سال بعضها على بعض ... <sup>(٤)</sup> ) إلى نهاية الرسالة .

---

(١) أبو مروان بن أبي الخصال هو عبد الملك بن مسعود بن أبي الخصال بن فرج بن عطية الغافقي من أهل شتورة  
(ت ٥٣٩هـ) . انظر : الأعلام ، للزركلي ، ج ٤ ، ص ١٦٥ ؛ والمغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد ، ج ٢ ،  
ص ٦٨ .

(٢) هو الوزير الكاتب عبد الملك بن زكريا أبو مروان القرطبي . انظر : رسائل ومقامات أندلسية لفوزي عيسى .  
انظر : منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص ١٢٤-١٢٥ .

(٣) ينسب إلى قول امرئ القيس . انظر : ديوانه ، ص ٢٤ .

(٤) نص الرسالة . انظر : رسائل ومقامات أندلسية ، لفوزي عيسى ، ص ١٢٥ .

## البيت الموظف في الرسالة :

فأضحى يسحُّ الماءَ عن كلِّ فيقَةٍ

يكبُّ على الأذقانِ دوحَ الكنَّهبلِ<sup>(١)</sup>

## توظيفه في الرسالة :

في هذه الرسالة الوصفية ، وهي من الرسائل التي يرويها ابن أبي الخصال على الوزير أبي مروان ، وفيها يستعين الكاتب بصورة من الشعر الجاهلي تقترب من موضوعه الوصفي ، والصورة الموظفة من بيت امرئ القيس استطاع الكاتب أن يلتقطها بخبرته لتكون رافداً له في وصفه ، وفي ذات الإطار الذي رسمه حيث يقول الكاتب ( وأمطرها من الموت سحائب سوداً ، وأكبها على الأذقان )<sup>(٢)</sup> .

ومثل هذا التوظيف الذي يعده أبو هلال العسكري من قبيل نثر المنظوم<sup>(٣)</sup> يتناسب هنا مع توظيف الكاتب الذي التقط ألمع ما في البيت الشعري القديم ليتناسب مع الصورة التي أراد أن يرسمها لذلك المطر وقوته وفعله بالأدواح المتنوعة ، ويكبها أي كب ، إنها على الأذقان ؛ فكأنه قلبها رأساً على عقب فلم تبق في مكانها ولا على صورتها ، والكاتب بذلك يحقق لرسالته البعد الفني الذي يرنو إليه الكتاب عندما يحلون المعقود وينثرون المنظوم ، وكان له ذلك من خلال استعانه بالصورة الناجزة في بيت الشاعر القديم .

---

(١) لغة البيت : الفيقة : ما بين الحلبتين ، يريد أن السحاب يسحُّ المطر ثم يسكب شيئاً فشيئاً ثم يسح وهو اغزر له . وهو بمتلة الفيقة وهي أن تحلب الناقة ثم تترك ، ثم تعاود الحلب ، ويسمى ما بينهما فيقه . انظر : الديوان ، ص ٢٤ .

والسح الدمع أو المطر المنهمر ، وسحابة مسحوحة : أي مليئة ، ويُسح الدمع أي سال ، والمطر اشتد انصبابه ، وعين سحساحة أي كثيرة الصب ، وطعنة مسحوحة أي سائلة . اللسان ، مادة ( سَح ) .

(٢) انظر : رسائل ومقامات ، ص ١٢٥ .

(٣) الصناعتين ، الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكري ( الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ) ، تحقيق : علي الجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط ١٤٠٦هـ / ١٩٨١م ، ص ٢١٦ .

## الأنموذج التاسع :

رسالة لأبي عبد الله بن أبي الخصال مداعباً : ( ألا عمّ صباحاً أيها الطلل البالي<sup>(١)</sup> وأعزز عليّ أن أضرب هذا لودّك مثلاً ، وأدعوه - على قرب العهد - طلاً ، لقد انتكث عهدنا عن كتب ، و " آل ما كان من عجبٍ إلى عجب " ولن يلبث الواشون أن يصدعوا العصا " فسقى الله - أبا الحسن<sup>(٢)</sup> أيام صفائك ما سرها ، ومن لعطفة تعيدها وتكرها ، ذلك إذا انجلت هذه العماية ، واتفتت ولاية ، والله في كل شيء آية ..<sup>(٣)</sup> الخ الرسالة ) .

## البيت الموظف في الرسالة :

ألا عمّ صباحاً أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العُصْر الخالي

## توظيف البيت في الرسالة :

في هذا النص يستهل الكاتب رسالته بتوظيف الوقفة الطللية ، ويطبق أحكامها الفنية بدءاً باسترفادها من أقدم أصولها المشرقية ، ومروراً بمراعاة موقعها في بدايات النص ، ووصولاً إلى الهدف الذي رامه الكاتب من وراء ذلك .

(١) صدر بيت لامرئ القيس . انظر : ديوانه ، ص ٢٧ .

(٢) لم يعرف به .

(٣) النص . انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٤٦٦-٤٦٧ .

لغة البيت : عمّ صباحاً : هي دعاء للطلل بالنعيم ، وأن يكون هذا الطلل سالماً من الآفات ، وهذا من عادات الجاهلية ، وكأنه يعني به أهل الطلل ويعمن بمعنى نَعِمَ ، ينعم . انظر : الديوان ، ص ٢٧ .

في توظيف المعنى الذي تنطوي عليه الوقفة منذ القدم حيث يستفتح الكاتب رسالته  
ببيت امرئ القيس الذي يحمل دعاء للطلل بالنعيم ( والمقصود به أهل الطلل وكأنه يحمل دعاء  
للطلل بالنعيم ، والمقصود أهل المكان بعد ما تفرقوا ، والطلل رمزٌ لامرئ القيس ، والوقوف  
أمام الطلل وقفة أمام النفس والمصير معاً )<sup>(١)</sup> .

فيستدعي ذلك من النموذج المشهور ويتمص المعاني التي تشير إلى الارتباط  
بالذكريات ، فيخاطب صديقه مداعباً بتذكيره بأيام صفائه ، وصحبته معه ، ويقرب المعنى حتى  
يتوافق معه ، بعد أن أحس أن صديقه متباعدٌ عنه ويتساءل ( كيف انتكث عهدنا عن كذب )  
( وآل ما كان من عجب إلى عجب ) وبهذا يتوافق الكاتب مع الغرض ، ويحسن التوظيف على  
الرغم من أنه أراد المداعبة ، وهنا تتساءل الباحثة هل أراد الكاتب بتوظيف الطلل هنا تذكير  
الأصحاب ، واستدعاء الوقوف أمام النفس والمصير معاً ؟ إذا كان الأمر كذلك فقد بعد عن  
غرضه ولم يبين عنه .

---

(١) الأدب الجاهلي - قضاياها - وفنونه - ونصوصه ، حسني عبد الجليل يوسف ، ص ٤٠٩ .

## الأنموذج العاشر :

رسالة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال موجهةً إلى رجلٍ مجهول الاسم والصفة <sup>(١)</sup> ( أعزك الله ، لما كان أطف المعاني مأخذاً وأقربها إلى الأرواح خلوفاً ومنفذاً ، ما هبّ نسيماً وسرى شميماً ، وتنافسْت فيه الأنفاسُ نشقاً ، وتبارت به سباً ، واستخفته نقلاً ، ولم تحمّل منه ثقلاً ، تجهزتُ إليك بلطيمة وفأرة مسكٍ تاجرٍ بقسيمة <sup>(٢)</sup> ، مسكٌ يحملُ أرجَ الثغور ، ودعجَ العيون الحور ، كأنما تألّف من خيلانِ الخدودِ ... إلى آخر الرسالة ) .

### البيت الموظف في الرسالة :

وكان فأرة تاجرٍ بقسيمة

سبقت عوارضها إليك من الفم <sup>(٣)</sup>

### توظيف البيت في الرسالة :

ينقلنا توظيف الكاتب هنا إلى لبيت الشاعر الجاهلي عنتره ، إلى أجواء الصورة المسترفدة التي تقوم على التشبيهات المركبة ؛ فتشبيهه عنتره ( الذي عُرف بوصفه للمرأة وتفننه

(١) نص الرسالة . انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٤٧٢-٤٧٣ .

(٢) انظر : ديوان عنتره ، ص ١٩٥ .

(٣) لغة البيت : الفأرة هي المسك وهي نافحته سميت بذلك لفورها إذا فتقت وخص فأرة التاجر لأنه لا يتربص بالمسك إذ كان يتغير ، فمسكه أجود وأطيب والقسيمة الجونة التي بها الطيب وهي أيضاً المرأة الحسناء واشتقاقها من قسماط هي عن يمين الأنف وشماله من الوجه ، سبقت عوارضها أي سبقت نكهة الفأرة عوارضها إليك .  
والعوارض ما بعد اللغات من الأسنان وهي الأنياب . والمعنى : أراد إن اهتديت إلى هذه المرأة انتشرت من فمها رائحة طيبة كالمسك ، وسبقت عوارضها إلى أنفك . انظر : الديوان ، ص ١٩٥-١٩٦ .

وفي شرح الزوزني فأرة تاجر بقسيمة ، سميت بذلك لأن الروائح الطيبة تفور منها . انظر : شرح المعلقات السبع ، لأبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، ص ١٤٠ .

في ذلك كعادة شعراء الجاهلية ، نجد هنا يصف محبوبته بطيب رائحة الفم ، ويشبه هذه الرائحة المنبعثة من فم الحبيبة برائحة المسك ، ويجسد هذا التشبيه المركب المليء بالحركة والحياة في أروع أبياته ( ١ ) .

وقد أفاد الكاتب في رسالته منها حين ربط بين المعاني التي أبدعها عنتره في وصف عبلة ، وبين صفات الطيب الذي أهدها ملمحاً إلى بعض صفات وأخلاق صديقه ، فينتقل بهذا الغرض المسترشد من وصف المحبوبة إلى وصف الطيب المهدي إلى الصديق مقروناً بصفات المهدي إليه . وإذا كان صنيعُ الكاتب إيجابياً في توجيهه هنا ويُحسب له ، فإن سيطرة المعنى الدقيق المسترشد من وصف عنتره قد جعل الكاتب يدور في فلك تلك المعاني التي أبدعها الشاعر القديم . ولا يقوى على مبارحتها على أن الجامع الذي ذهب إليه الكاتب في ذلك الربط بين شذا الرائحة المنبعثة من المحبوبة ، وطيب أخلاق ذلك الصديق حيث يقول الكاتب ( أنها أخلاقك عرضت عليك ، وبضاعتك ردت إليك ، وأنت في قبولها كالنحل يجنى من شهدة .. ) ( ٢ ) .

---

( ١ ) عناصر الإبداع الفني في شعر عنتره ، د. ناهد شعراوي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط ١٩٩٦ م ، ص ٢٧٣ .

( ٢ ) رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٤٧٢-٤٧٣ .

## الأنموذج الحادي عشر :

رسالة في ذكر الوزير الكاتب أبي الفضل بن حسداي <sup>(١)</sup> موجهاً إياها لابن الدبّاغ <sup>(٢)</sup> ضمن جملة من رسائله التي وجهها إلى جماعة من إخوانه : ( ... وإنا لنوقن أن هذا الأمل بعيدٌ لا نبلغه ، ونعيمٌ لذيذ لو نُسوَّغه ، فما تزال يحلُّ أيمانك من نفسك حنثٌ لا يقاومه سحرٌ ولا نفثٌ ونعم ، سنأدبك إلى مادبِ أنسنا ، [ وندبك ] إلى محاضر لهونا ، فما نتمُّ إل بك ، ولا نلذُّ إلاّ باقترابك ، وأي شيء ألدّ وأمنع من أن نتعاطى الكرّات والنُخب ، ونبعث من مكانه الارتياح والطرب ، ونصدّ الكأس عنك وأنت في مجراها ، ونخلقُ بها عليك وأنت لا تراها ، ولا تُعللُ منها بنسيم ، ولا تنفحُ لك من رياها بشميم ، حتى إذا دبّت فينا حُميا الخمر ، وقهرتنا سورةُ السُّكر ، تمايلنا عليك مُعربدين ، وتمسحنا بأثوابك راكعين وساجدين كما شبرقَ الولدانُ ثوبَ المقدّس <sup>(٣)</sup> وأما صفة حالنا التي سألت عليها .. إلخ الرسالة ) <sup>(٤)</sup> .

## البيت الموظف في الرسالة :

فأدرَكته يأخذنَ بالسّاق والنّسا

كما شبرقُ الولدانُ ثوبَ المقدّسِ

(١) هو أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي بن إسحاق ، نال حظاً من الشعر والنثر ، برع في علوم شتى وعاصر المقتدر بن هود إلى وفاته عام ٤٧٤هـ . انظر : القلائد ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ ؛ والذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٤٥٧-٤٥٨ ، والمُغرب في حُلَى المغرب ، لابن سعيد ، ج ٢ ، ص ٤٤١ .

(٢) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر ، كان في دولة المقتدر بن هود وجفاه ، ثم اتجه إلى الدولة العبادية ، ثم إلى بني المظفر في بطليموس ، وعاد إلى سرقسطة وقتل فيها . انظر : القلائد ، ج ٢ ، ص ٣١٤ ؛ والمغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد ، ج ٢ ، ص ٤٤٠ .

(٣) عجز بيت لامرئ القيس . انظر : الديوان ، ص ١٠٤ .

(٤) النص . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، من ٢٨٤ إلى ٢٨٦ .

## توظيفه في الرسالة :

يلحظ المتأمل في هذه الرسالة أن الكاتب يتوافق مع الصورة التي حملها عجز بيت امرئ القيس ، ومؤدّاهما تسابق الصبية والغلمان على ثوب الراهب الذي يتزل من صومعته بيت المقدس يمزقونه تمسحاً به وتبركاً ، وهي صورة تتطابق مع الحالة التي يريد الكاتب أن يصورها مجلس الأنس جذاباً لابن الدباغ الذي تبدو عليه مؤخرًا مسوح الزهد ( ونصرف من المكر خدعاً ، ومكايد ، في بقائك على نسك مستمراً ، ودوامك على توبتك مصراً .. )<sup>(١)</sup> علّهم يستعيدون زماناً مضى ، ولقد أحسن الكاتب صنعاً عندما اكتفى بعجز البيت دون صدره ؛ إذ إن صدر البيت ينقل صورة يختلف فيها المشهد ، وحيث يصبح دامياً تهاجم فيه الكلاب صيدها الثمين ، وتدرك الكلاب الثور وتشده من ساقه مقطعةً إياها ، وتصل إلى عرق ساقه في مشهد دامٍ ( فأدركنه يأخذن بالساق والنسا )<sup>(٢)</sup> .

ومن خلال ما تقدم يتراءى قصد الكاتب عمداً إلى التوظيف الجزئي للمشهد القديم المسترقد منه الشاعر الجاهلي بكامل ظلاله وألوانه وتراكيبه وإيحاءاته ؛ دعماً لفكرة الرسالة التي تشي بعمق ثقافة كاتبها وقدرته على توظيفها توظيفاً فنياً .

(١) انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٢) لغة البيت : ( شبرق الولدان ) أي مزق . المقدّس : وهو الراهب الذي يأتي بيت المقدس فيجمع عليه الصبية يمزقون ثيابه تبركاً به . انظر : الديوان ، ص ١٠٤ .

## الأنموذج الثاني عشر :

رسالة لأبي عبد الله بن أبي الخصال جواباً عن رسالة لأحد الفقهاء المشاورين ( أطالَ اللهُ بقاءَ الفقيه الأجلّ ، المشاور الأكبر الأفضّل ؛ ذي السؤدد العميم ، والخلق الكريم ، والعهد المستوي الأديم ، في عزة منيعة [ الحرم ] والحريم ، موصلة الحديث بالقديم ، ولا زال هضبة مجدّ وعلاء ، وتيماء نعم وآلاء ، إجماله - أدام اللهُ عزّه - مطّرد ، واهتباله مُتسّقٌ منسرد ، وسبّقه في كلّ فضيلةٍ " قيد الأوابد منجرد " <sup>(١)</sup> وإن كتابه الخطير وافاني فصيح المغاني ، أنيق الألفاظ والمعاني ، وثيق المعاهد والمباني ، مناسب الفضل الباهر ، مستوي الباطن والظاهر ... الخ الرسالة ) <sup>(٢)</sup> .

## البيت الموظف في الرسالة :

وقد أغتدي والطيّر في وكناتها

مُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلٍ <sup>(٣)</sup>

## توظيف البيت في الرسالة :

الكاتب هنا استرشد جزءاً من عجز بيت الشاعر الجاهلي امرئ القيس قاصداً إلى الصورة التي يحملها ، ويتدخل فيها محوراً حيث قدّم " قيد الأوابد " على منجرد لكي يتناسب ويتوافق مع أسلوبه الذي جاء مستخدماً حلية السجع الرائجة في فن الكتابة .

(١) إشارة إلى قول امرئ القيس . انظر : ديوانه ، ص ١٩ .

(٢) نص الرسالة . انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٤١٢ .

(٣) لغة البيت : الوكنات : المواضع التي تأوي إليها الطيور ، والمنجرد : الفرس القصير الشعر ، ويقال : - الفرس أو الخيل الذي يمضي في السباق ، والأوابد : الوحوش والمعنى يبكر في الصيد قبل خروج الطيور . انظر : الديوان ، ص ١٩ .

وقد أراد الكاتب بالعرض هنا مدح أحد الفقهاء المشاورين فأتى البيت مناسباً للفكرة التي أدار حولها الكاتب رسالته ؛ إذ يمهد للمسترفد بعبارته " وسبقه في كل فضيلة " فهي كناية عن الصورة الحسنة التي نسبها إلى ممدوحه من سبقه إلى الفضائل ومحاسن الأمور ، وأصل هذه الصورة التي وظفها الكاتب في رسالته يرجع إلى مثل عربي قديم مفاده : " أمثلي تطرد الأوابد " أي بمثلي تطلب الحاجات الممتنعة <sup>(١)</sup> .

ولكن الشاعر الجاهلي حولها ببراعة من مُلك شائع بين الأدباء إلى مُلك خاص به ، فما أن تذكر قيد الأوابد إلا وينصرف الذهن إلى بيت امرئ القيس ، وبهذا التنويف الجزئي للصورة التي خلدها امرؤ القيس للفرس استطاع الكاتب ربطها بممدوحه ، ودججها في سياق رسالته ، على نحوٍ يشير إلى عمق ثقافته الأدبية الخاصة التي تمتد جذورها إلى هذا الشاعر الجاهلي .

---

(١) تجمع الأمثال ، للميداني ، أبو الفضل ، أحمد بن محمد النيسابوري ، ج ١ ، دار الفكر ، ط ٣ ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م ، ص ٩٩ .

## الأنموذج الثالث عشر :

رسالة للأديب أبي جعفر أحمد بن عبد الله التطيلي<sup>(١)</sup> في معاتبة بنص إخوانه ( وإنك - أعز الله - لما تكلمت بلسان سهل بن هارون ، وجلست مجلس الفضل من المأمون ، وخدمك الدهر ، واثالت في يديك الأنجم الزهر قلت : أحمد وعلي وإن لم يكن شبعُ فري<sup>(٢)</sup> أسواء من أعتق أو نص ، أو أين من ولي حلب ممن ولي حمص ، وعلى رسلك ... الخ الرسالة )<sup>(٣)</sup> .

## البيت الموظف :

فَتُوسِعُ أَهْلَهَا أَقْطَاً وَسَمْنَاً

وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبَعُ وَرِي<sup>(٤)</sup>

## توظيف البيت في الرسالة :

الكاتب هنا أراد معاتبة إخوانه وقد أبدى تحوُّفه من عزله وشعوره بالهوان والخزي ، فوظف البيت ليعبر عن إحساس مقنع من الغنى بما يشبعه ويرويه على الرغم من حاجته إلى هذا الغنى ، حتى إنه غداً مثلاً يقول " حسبك من غنى شبع وري " <sup>(١)</sup> .

(١) أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي الأعمى التطيلي قيل توفي ٥٢٥هـ . انظر : الأعمى التطيلي حياته وأدبه ، لعبد

الحميد عبد الله هرامة ، المنشأة العامة للنشر ، طرابلس ، ط ١ ، ١٣٩٢هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٧-١٨ ؛ والمغرب في

حُلَى المغرب ، لابن سعيد ، ج ٢ ، ص ٤٥١ ، ص ٤٥٢ .

(٢) ينسب إلى قول امرئ القيس . انظر : ديوانه ، ص ١٣٧ .

(٣) الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٢ ، مج ، ص ٧٢٩ .

(٤) ديوان الشاعر امرؤ القيس ، ص ١٣٧ .

لغة البيت : الأقط هو شيء يصنع من اللبن المخيض على هيئة الجبن . والشاعر يريد أن الإنسان لا ينبغي أن يقنع

بالعيش دون رفعة وشرف متزلة ، وقد ذكر هذا البيت في غدر الزمان به . انظر : الديوان ، ص ١٣٧ .

(١) مجمع الأمثال ، للميداني ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

ويحتمل معنيين أحدهما :

( أعط كل ما كان لك وراء الشبع والري ، والآخر : القناعة باليسير ، يقول : اكتف

به ولا تطلب ما سوى ذلك ) .

فالكاتب يدعم برسالته المعنى الثاني ليعبر عن شدة لومه وعتابه وإحساسه بالقناعة .

## الفصل الثالث :

أثر توظيف البيت الشعري في  
الكاتب ، والمضمون

## مدخل :

لقد أدرجت في هذا الفصل مباحث تضمنت دراسة أثر التوظيف ، بحيث ارتأت الباحثة دراسة أثر توظيف البيت الشعري في الكاتب والمضمون في خمسة مباحث مما يلحظ قوة التأثير والتأثير بينهما ، وصعوبة الفصل بين بعضهما البعض .

لكن الباحثة ارتأت تقسيمها إلى عدد من المباحث لتسهيل دراستها ، وهي كالتالي :

المبحث الأول : أسباب تعلق الكاتب بالشعر الجاهلي .

المبحث الثاني : أسباب التوظيف .

المبحث الثالث : سمات التوظيف في التشكيل البنائي للرسالة .

المبحث الرابع : الأثر الموظف بين الإيجاب والسلب .

المبحث الخامس : الأغراض التي وظفها الأندلسيون في رسائلهم .

وستتم المعالجة فيما توافر في النماذج التي سبق توظيفها فيما تقدم من فصول .

# المبحث الأول

أسباب تعلق الكاتب

بالشعر الجاهلي

لقد أعجب الكتاب في هذا القرن بتراث أمتهم العريق في المشرق ؛ بعد أن أدركوا قيمته الفنية وقدرته على رصد حاضرهم الأدبي بعطاء الماضي ، وترجموا ذلك بصورٍ مختلفة ، تتم عن أسباب اتصالمهم به ، ويأتي هذا الإعجاب في مقدمة الأسباب التي دفعتهم إلى الحرص عليه والتشبيث به ، وانعكس ذلك على أدائهم الكتابي ، ومع أن الاختلاف في توظيف الكتاب لأغراض متنوعة وعديدة من الشعر الجاهلي لا يذهب بقيمة هذا الأدب بقدر ما يضيف إليه سمة من سمات التنوع والجمال ، فقيمة هذا التنوع تكمن في إثراء القارئ بمزيجٍ من الأبيات الموظفة ، والتقريب بينها وبين الغرض الذي من أجله كتبت هذه الرسائل .

وهذا التقريب من شأنه أن يوضح وجهة نظر الكاتب ويبين عنها ، فنجد هذا الشعر الموغل في القدم الذي توشى به الرسالة الأندلسية يكشف لنا عن عناصر إيجابية حقق الكاتب من خلال استرفاده إياها تفوقه وانتصاره في مواجهة قهر عوامل عدة ، منها عاملاً : المكان والزمان ، وهي تكشف عن رؤية مستقلة وفكرٍ راقٍ ومخلقٍ يربط الحاضر بأصالة الماضي وعراقته .

حيث نجد الكتاب في هذه الرسائل قد استرفدوا بعضاً من الأغراض الشعرية التي تعبر عن رؤية واضحة لمنهجية معينة في التعامل وترسخ - على الرغم من اختلاف بواعثها - جوهرًا ثابتاً وحقيقة أزلية راسخة الوجود ، يستحضر من خلالها الكاتب صورة الماضي مع عراقية الحاضر وجماله .

ولقد ذكر الدكتور / أحمد هيكل رأيه في تأثر الأندلسيين بتراث المشاركة معبراً عن هذه التبعية والمسماة - في كثير من الأحيان - بالتقليد والاحتذاء ، فذكر في ذلك ( أن ظهور هذا الاهتمام بتراث المشاركة وأدبهم لم يكن في الأغلب تقليداً من الأندلسيين للمشاركة ولا يدل على التبعية والتقليد بقدر ما يدل على إعجاب الأديب الأندلسي بهذا الأدب .

وخير دليلٍ على ذلك أنه كان يجاهر بموازنة نتاجه بنتاج سابقه من المشاركة ، وذلك حين يعالج موضوعاً عاجله ، أو يورد فكرة أورد مثلها ، أو يؤلف صورةً رسم نظيرها (١) .

وعليه فإن من أسباب تعلق الكتّاب الأندلسيين بالشعر الجاهلي إعجابهم به إعجاباً لا يندرجُ في دائرة النسخ أو التقليد ؛ وإنما هو محاولةٌ منهم في التوازي مع المشاركة ، فيقرنون الفكرة بالفكرة ، والصورة بالصورة ، والمعنى بالمعنى دعماً لفنهم .

وبهذا يتأكد للباحثة أن هذا الإعجاب سببٌ من أسباب تعلقهم بالماضي العريق واحترامه والتواصل معه ، واسترفاده والاندماج معه ؛ أملاً في إضافةٍ بعدٍ فني إلى نصوصهم الكتابية.

وهناك في الباحثين من يرى أن تشابه العاطفة الإنسانية وتقارب البيئة سببٌ من أسباب تعلق اللاحق بالسابق على أنهم يطبقون ذلك في الشعر ، ومنه قول أحد الدارسين : إن ما يسمى بإغارة الشعراء على أفكار بعض قد يكون مرده تلك العاطفة التي تتشابه في الناس وتتقارب في البيئة الواحدة ، ويأتي الشعراء فيستلهمون هذه العواطف المتقاربة أو المعاني العامة لأنهم يستمدونها من بيئة واحدة وبالتالي فكر واحد (٢) .

وترى الباحثة أن هذا ينطبق أيضاً على فن الكتابة إذ إن أغلب الكتّاب ، إن لم يكونوا جميعاً ، مزدوجو الموهبة فيجيدون الشعر كما يجيدون النثر ، ويبقى السبب لديهم قائماً ، حيث يستلهمون العواطف المتقاربة أو المعاني العامة من بيئة تمتد إلى جذور واحدة ، وتنتمي إلى بيئة التراث العربي في المشرق ويمزجونها بفنهم النثري .

---

(١) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، د. أحمد هيكال ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١٤ ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م ، ص ١٩٩ .

(٢) الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، د. سعد شليبي ، القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٢ ، بتصرف.

إلى جانب أن صنيعهم من قبيل الاستدعاء ، وليس من قبيل الإغارة حيث إنهم يعمدون إلى تقوية أساليبهم النثرية والإضافة إليها من خلال موروثهم الشعري القديم ، وهو ما يؤكد الدكتور / أحمد هيكل ، بقوله : وهذا لا ينفي أن يكون هذا التأثير بفنٍ سابقٍ تأثراً واعياً ، وينم عن شخصية متفتحة وقوية تضيف إلى ما تتأثر به كثيراً من ذاتها وفنها فتتميه وتتفنن في إبداعه<sup>(١)</sup> .

وترى الباحثة أن هناك أسباباً ترتبط بما تقدم ذكره جعلت الكتاب يتعلقون أكثر بالشعر الجاهلي ؛ ففي غمرة تلقيهم للشعر الجاهلي وتناسيهم لما حفظوه من الشعر القديم علقوا الصور والمعاني والأفكار بذاكرتهم الأدبية ووقعوا - واعين أو غير واعين - تحت سيطرتها وهذا يعبر عن إعجاب قديم وانبهار مسبق جرد من كل ميل أو تحيز قد رسب في ذاكرة الأديب ، وعبر عنه باللاوعي ، ولم يأبه هذا الأديب أن يوظف أبياتاً في الرسائل قد عدت مرتع فكرٍ وتأملٍ وتكملة لمسيرة الإبداع ، ومثل هذا قد يدرج تحت مسمى " الإلهام الشعري " الذي يصيب الأديب جراء إعجابه بشاعرٍ معينٍ وطريقته في الإفصاح عن مشاعره ، فيجد بينه وبين هذا الشاعر شيئاً مشتركاً وطريقة موحدة في التعبير عن المشاعر ، فيعجب بهذا التصور ويتأثر ، ويجد أفكاره منساقة إليه ، لتعبر عما يحتلج في نفسه وسرعان ما يبادر هذا الأديب بتسليط الضوء على أبيات القصيدة واسترفادها<sup>(٢)</sup> .

وأخيراً تستطيع الباحثة بعد هذا كله أن تقول : إن جوهر تعلق هؤلاء الأدباء بتراثهم المشرقي المتمثل هنا بالشعر الجاهلي أمرٌ متوقع ، إذ إنهم بنوا جزءاً كبيراً من ثقافتهم الأدبية الخاصة على ذلك التراث ، ومكثوا معه طويلاً ، وهنا اتسمت ثقافتهم بالوفاء للمصدر الأدبي الذي أعجبت به وأخذت منه ، وهنا تكون الثقافة قد أعطت من جنس ما أخذت .

(١) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، د. أحمد هيكل ، ص ٢٠٠ بتصرف .

(٢) الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، د. سعد شلبي ، ص ٣٩ بتصرف .

# المبحث الثاني

أسباب التوظيف

١- قد يكون من بين أهم الأسباب التي يرفد بها الكاتب نصه بالشعر الجاهلي عدم ملاءمة الأغراض الشعرية المستخدمة في عصر الكاتب لموضوع الفكرة التي يطرقها - أو قصورها عن إدراك الفكرة التي سيتناولها - مما يدفعه للبحث في التراث الشعري القديم ، عن طرق تعبيرية لم تطرق من لدن الكتّاب ، وهنا يضيف الكاتب إلى رسالته بعداً فنياً يتحقق من خلاله إثارة دلالات المعاني والصور في ذهن المتلقي ، ويتبين ذلك من خلال بيت امرئ القيس :

فأضحى يسحُّ الماء عن كل فيقةٍ

يكبُّ على الأذقانِ دَوْحَ الكَنْهَبِلِ<sup>(١)</sup>

والذي استعان به الكاتب أبو مروان بن أبي الخصال<sup>(٢)</sup> فكان خير شاهدٍ على تقارب المعاني والأفكار التي قصدها ، ووجدها ماثلةً في هذا البيت الذي يحفز في ذهن المتلقي الدلالات والصور ، وفيها يعبر الكاتب عن التحولات التي رسمها في صورة جزئية جعلها رافداً لأفكار تسلسلت بصورة تلقائية لتثير في النفس حفيظة الركود والهدوء ، فعبر بها عن هذا السيل الجارف والمدمر ، وإذا ما تأملنا هذه الصورة الشعرية التي يسدها الكاتب بعد وصف السيل في رسالته ، فإننا سرعان ما نتذكر صورة السيل في بيت امرئ القيس ، وبذلك تبني الكاتب ربط المعنى بالمعنى ، والفكرة بالفكرة في ذهن المتلقي من خلال التواصل مع التراث القديم .

٢- ومن الدوافع التي لجأ إليها الكاتب ومثلت سبباً رئيساً في استمداده من الشعر القديم إعجابه الشديد بالشعر المشرقي وشعرائه القدامى .

(١) ديوان امرؤ القيس ، ص ٢٤ .

(٢) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٨٣ .

مما أدّى إلى سيطرة خزين الذاكرة على نتاجه ، وهنا يجد الكاتب نفسه غير قادر على التحرر من التعبير الشعري المتغلغل في ذاكرته ، والمتعلق بموضوعه ؛ فلا يستطيع الانفكاك من إसार ذلك المحفوظ ، وهو هنا الشعر ، فنجده يسيطر على المعاني والأفكار التي تراوده .

وأصدق شاهدٍ على ذلك تلك الرسائل التي اشتملت على شعر الحكمة والأمثال ، ومنها هذا البيت الذي استمده الكاتب ابن أبي الخصال<sup>(١)</sup> من الشاعر أبي ذؤيب الهذلي<sup>(٢)</sup> :

والنفس راغبة إذا رغبتها

وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنَعُ

وكذا استمداد الكاتب ابن طاهر<sup>(٣)</sup> قول الشاعر حاتم الطائي<sup>(٤)</sup> :

أماويَّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحُ

ويبقى من المالِ الأحاديثِ والذكرُ

وكذا استعانة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال<sup>(٥)</sup> لبيت عنتره بن شداد الذي يقول

فيه :

نبئتُ عمراً غيرَ شاكرٍ نعمتي

والكفرُ مَحْبِثَةٌ لنفسِ المنعم<sup>(١)</sup>

---

(١) انظر مبحث التوظيف الكلي للرسائل الإخوانية ، ص ٥٦ .

(٢) ديوان الهذليين ، ص ٣ .

(٣) نص الرسالة . انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٧١ .

(٤) انظر : الديوان ، لحاتم الطائي ، ص ١٩٩ .

(٥) انظر : مبحث التوظيف الجزئي ، للرسائل الإخوانية ، ص ٧٨ .

(١) الديوان ، ص ٢١٤-٢١٥ .

فجميع الكُتّاب في الرسائل السابقة يعبرون بذلك عن إعجابهم الشديد بالشعر المشرقي وشعرائه فيوظفونه في رسائلهم مستسلمين لسيطرته ؛ سعياً منهم إلى تمثل الروح العربية القديمة ، والارتباط القوي بالقيم الأصيلة التي صدر عنها ذلك الشعر ، بكل ما فيه من طاقات تعبيرية يرفدون لفتهم ويعززون معانيهم .

٣- ويلجأ الكاتب إلى توظيف البيت الجاهلي في سياق رسالته لتزيين النص وتميجه ، وهي وسيلة عمد إليها كثيرٌ من الكُتّاب السابقين ، إذ يحققون من خلالها نوعاً من الأسلوب الطارد للملل ، ويدفعون السأم عن القارئ ، وبهذا تستمر وسيلة مزج النثر بالشعر لدى هؤلاء الكُتّاب<sup>(١)</sup> .

( وهنا يشعر الكاتب بوطأة الشعر وما يحمله من طاقات فنية قد لا يتسنى للنثر أن يحملها ، فإذا ما مضى الكاتب في رسالته راوده المنظوم من جديد )<sup>(٢)</sup> .

وبذلك يساعد التوظيف على إيصال المعلومة واضحة للقارئ وبصورة فنية منمقة ؛ فالرسائل الديوانية مثلاً هي رسائل سياسية أرسلت لغرض تيسير أمور الدولة فعندما نجدها تزين بألوان من الفنون الأدبية أهمها الشعر فهذا إنما ينم عن مقدرة الكاتب في حسن التوفيق والجمع بين الأمر السياسي وصياغته بطريقة لا تشعر القارئ بالملل ، ونجد ذلك في رسالة الوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان والذي استطاع بحسن استرفاده لبيت الشاعر ذي الأصبع العدواني<sup>(١)</sup> أن يرسم له ديدناً خاصاً به في التعامل مع الغير وهو ما يتضح من قوله :

---

(١) الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث ، لمحمد الدروي ، ص ٥٦٣ ؛ واستيحاء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، لإبراهيم منصور الياسين ، عالم الكتب ، الأردن ، ط ٢٠٠٦ م ، ص ٨-٩ بتصرف .

(٢) الرسائل الفنية ، ص ٥٦٤ .

(١) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الديوانية ، ص ٤٤ .

## لا يُخْرِجُ الكَرَهُ مَنِي غيرَ مَأْيَبَةٍ

ولا أَلَيْنُ لِمَن لا يبتغي ليني (١)

٤- ومن أسباب مزج لغة الكتابة بالشعر التي لجأ إليها الكتاب هنا تقوية إبداعاتهم النثرية مستغلين طاقات الشعر التعبيرية ، وإيجاءاته لشحن مضامينهم ومعانيهم ، ويعبر الدكتور عثمان موافي عن هذا المزج عند تناوله لظاهرة جمع الأدباء بين الكتابة والشعر فيقول ( إن التوظيف يمثل قدرة النثر على الوقوف على قدمٍ وساق بجانب الشعر فقد كان الشعر والنثر في ذلك كرجلين ممتلئين قوةً وعافية اختلط كلُّ منهما بالآخر فأفاد من قوته وعافيته وأثر في صاحبه وتأثر به دون أن يؤدي هذا التأثير أو ذلك التأثير إلى إلغاء شخصية كل منهما وإذابتها في شخصية الآخر ) (٢) .

وعندما يتصل هذا السبب بمؤلاء الكتاب فإنه يزداد قوةً من خلال استعانتهم بالشعر الجاهلي ، وما يثيره من عمق وعراقة يرهنون بها على صدق التجربة والمعنى الذي قصدوه .  
وإذا نظرنا إلى رسالة الكاتب أبو عبد الله ابن أبي الخصال التي استفتح بها مقطعاً طليلاً لامرئ القيس وهو :

ألا عمٌ صباحاً أيُّها الطلل البالي (٣)

في رسالته التي نذكر منها ( وأعزز علي أن أضرب هذا لودك مثلاً ، وأدعوه على قرب العهد طلاً ) (١) .

(١) البيت لذي الأصبع العدواني . انظر : المفضليات ، ص ١٦١ .

(٢) من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم والحديث . نظرية الأدب ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ط ١ ، ١٩٨٠ م ، ص ٢٢٨ .

(٣) ديوان امرئ القيس ، ص ٢٧ .

(١) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٨٣ .

نجد أن الكاتب هنا بفظنته لم يشعرنا للوهلة الأولى بغرابة البيت عن سبب كتابته للرسالة ، بل مزج الطلل ، وذكر الأحبة بصورة نثرية راقية في قصيدة نثرها ، ليعبر بها عن عتبه لصديقه وغيابه الذي طال بأسلوب خلّد له التوظيف نسيجاً أدبياً وتجربة صادقة اختار لها الأديب ذلك الشطر القوي لشاعرٍ كامرئ القيس .

ومثل ذلك توظيف الكاتب أبي القاسم بن الجند (١) في رسالته التي ذكر بها لفظة ( دويهيّة ) في رسالة استمدت إيجاءاتها وقوتها من قول الشاعر لبيد بن ربيعة في بيته الشهير :

وكل أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهم

دويهيّةٌ تصفرُّ منها الأناملُ (٢)

فقد ارتبطت هذه اللفظة ( دويهيّة ) بيت لبيد بن ربيعة ارتباطاً وثيقاً بحيث أوحى رسالته إلى ذكرها ، وأردف في ذهن القارئ تذكّر بيت لبيد بن ربيعة الجاهلي فغدا ارتباطهما يقوي المعنى ويعبر عن المضمون .

٥- كما يلجأ الأديب إلى التوظيف رغبةً منه في التعبير عن آرائه تجاه بعض القضايا الحساسة التي قد تجلب تبعات أو خصومات مع الأفراد أو القوى المخالفة ؛ لذا يلجأ إلى التستر وراء التوظيف (١) .

وهو ما نلمحه في رسالة الكاتب أبي المطرف بن مثنى (٢) التي أراد أن يعبر بها عن رأيه لأبي الفضل ، وعن رغبته الحقيقية في الحصول على رضاه ، وهو بيت اختاره ليعبر فيه عن صعوبة تخيره بين أمرين أحدهما رديفٌ للآخر ، يظهر ذلك في بيت الأعشى الموظف وهو :

(١) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٦٧ .

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة ، ص ٢٥٦ .

(١) بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين المنعقد في مكة ( من ٥-٧ ) شعبان تحت عنوان ( الشخصية التراثية في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ، د. جريدي سليم المنصوري ، ج ٢ ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٥٢٠ .

(٢) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الديوانية ، ص ٤٢ .

فقال ثكلٌ وغدرٌ أنت بينهما

فاختر وما فيهما حظٌ لمختار<sup>(١)</sup>

فإن أراد الكاتب مخالفة أبي الفضل في رأيه فهو ذو لؤم وخبث ، وإن فعل ما أمره به فقد عدّ نفسه غير محظوظ على ذلك ؛ فكلا الأمرين مجر على الاختيار بينهما .

٦- ومن الأسباب التي قد يلجأ إليها الكتاب أحياناً في رسائلهم المدعومة بالشعر إظهار الثقافة والقدرة من خلال تعمد رfd الرسالة بالشعر الجاهلي ، وفي ذلك إشارة إلى أن إفادة الكاتب من ثقافته وحفظه تعد من الأمور الهامة والدالة على قدرته ودقة محفوظه ؛ وفي ذلك يقول ابن خلدون مشيراً إلى أهمية استرفاد الأديب من محفوظه القديم ( اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً أولها : الحفظ من جنسه ، أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة يُنسج على منوالها ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الأساليب ، وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين مثل ابن أبي ربيعة ، وكثير ، وذو الرمة ، وجريز ، وأبي نواس ، وحيب ، والبحري .

ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر ردئ ، ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ ؛ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر ، وإنما هو نظمٌ ساقط ، واجتناب الشعر أولى لمن لم يكن له محفوظ .. )<sup>(١)</sup> .

فنجد هذا الرأي الواضح لابن خلدون في مقدمته ينطبق على الأديب ، سواء كان شاعراً أم ناثراً ، فضرورة الحفظ واسترفاد ذلك لتزيين النصوص الأدبية وإظهار ثراء ثقافة الأديب ضرورة ملحة يفرضها ثراء الموروث الشعري الأصيل في كثيرٍ من الأحيان .

(١) ديوان الأعشى ، ص ٨٩ .

(١) مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، بيروت ، ص ٥٧٤ .

## المبحث الثالث

سمات التوظيف في التشكيل

البنائي للرسالة

## مدخل :

لقد تطور فن الرسائل تطوراً هائلاً على أيدي هؤلاء الكتّاب المبدعين ، حيث زواج الكتّاب بين نثرهم وأشعار الجاهليين بصورة لافتة تستدعي الوقوف على أبرز دلائلها ، ودراسة محاورها المعينة على فهم النصوص ، وهي تكمن في ثلاثة محاور :

أ- أثر التوظيف في افتتاحيات الرسائل :

تتناول فيه الباحثة محاوراً لبعض الرسائل التي استفتحت بأبيات الشعر الجاهلي ، وعلاقة ذلك بموضوع الرسالة .

ب- أثر التوظيف في ثانيا الرسائل :

تتناول فيه الباحثة جانباً من علاقة البيت الشعري بفكرة الكاتب ومجئها في ثانيا بعض الرسائل .

ج- أثر التوظيف في خاتمة الرسائل :

وفيها تحاور الباحثة رسائل ذُيلت بأبيات من الشعر الجاهلي كان توظيف الشعر فيها بمثابة مقدمة لخاتمة الرسالة .

## أ- أثر التوظيف في افتتاحيات الرسائل :

لقد حرص الأندلسيون على دراسة كلام العرب ، والاهتمام بجمعه ، والاعتداد بما طُبعوا عليه من نقاء الفطرة ووضوح الفكرة وسلامة الطوية ، وأن يُلبسوا أفكارهم ثوب التوظيف في الحكم والأمثال والأشعار والأحداث التاريخية<sup>(١)</sup> .

ويرى الدكتور مصطفى السيوفي أن مثل هذا الأثر الناتج عن التوظيف يصب في خدمة المعنى الذي قصدوا إليه فيرد أثناء الرسالة أو ينتهي بها ، أو يأتي في مطلعها بمثابة التمهيد أو براعة الاستهلال ، ويغلب عليها أن تكون من قصائد الشعراء الجاهليين ، حيث ينطلق الكاتب من عقل العقل إلى بساط العاطفة ، حتى يكون بذلك قد خاطب من يكتب إليه بلغتين نافذتين : لغة العقل ممثلة في الكتابة ، ولغة العاطفة ممثلة في الشعر<sup>(٢)</sup> .

ومن خلال استعراض أثر التوظيف في افتتاحيات الرسائل التي تناولتها هذه الدراسة يتأكد للباحثة أنه تمهياً للكتاب أن يجمعوا في رسائلهم بين لغة العاطفة ولغة العقل ، وعندما تمتزج العاطفة بالعقل ينشأ عن ذلك مساحة فكرية تنم عن مقدرة أدبية واعية .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن التوظيف في افتتاحيات الرسائل نادرٌ عند الكتاب في هذا القرن ؛ إذ يعتمد من نهج ذلك من الكتاب إلى الإشارة إلى الغرض المذكور بيت شعري في صدر الرسالة ، غير أن أشعار الجاهليين - قد توحى بهذا الغرض - إلا أن يؤتى بها في غير محلها ، مثل رسالة أبي عبد الله بن أبي الخصال في المداعبة حين استفتحها باسترفاد مقطع طللي لامرئ القيس يقول فيه :

---

(١) ملامح التجديد في النثر الأندلسي في القرن الخامس ، ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ،

ص ١٨٣ بتصرف .

(٢) نفسه ، ص ١٨٦ بتصرف .

## ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي<sup>(١)</sup>

فذكر الطلل لا يتأتى مع المداعبة بل قد يأتي معه البين والفراق ، وهذا البيت أثرٌ في بناء الرسالة فنفي حقها الكامل من المداعبة وحوّلها إلى عتب على فراق صديق .

وإذا ما نظرنا إلى الموضوع من جهة التحليل الأسلوبي فقد نجد أن الشاعر عندما كتب هذا المقطع الطللي أمام ثلاثية محددة مكونة من الشاعر ، والفراق والبين ، و الشوق للأحبة ؛ فإذا كان الكاتب قد نحى جانب الفراق ولم يقصده فهو يقصد الشوق للمتلقى أو لمن كتب له هذه الرسالة ، ولم يقصد إشعاره بالبين الذي بينهما وإنما أراد التساؤل ( انظر كيف فرق بيننا الزمان )<sup>(٢)</sup> .

وإذا كانت الوقفة الطللية في النص الشعري قد مثلت لازمةً من اللوازم التي تعود أصولها إلى الشعر الجاهلي وعنواناً له فإن الأمر يتماثل تماماً مع الرسائل النثرية ، إذ إنها تحتاج أكثر من الشعر إلى إبراز المقدمات وإعطائها حقها ، وقد نبه الكاتب إلى ذلك - واسترّفده على قلة - في مقدمات رسائلهم بغيّة تحقيق هذا الهدف الفني اللافت .

وبالعودة مرةً أخرى إلى تأمل الرسائل الأندلسية التي استفتحت بأبيات الشعر الجاهلي ، وفق النمط السابق ، يمكن للباحثة القول : إن ذلك راجعٌ إلى قوة المطلع الشعري في القصيدة الجاهلية ، وحتى لا تطغى هذه القوة على معنى الرسالة ، سلباً أو إيجاباً ، نأى الكاتب عن الاستفتاح بالشعر الجاهلي لإضافة روح التشويق والإثارة إلى ذائقة المتلقي لمعرفة أي موضوع تدور حوله الرسالة ، وما يتمخض عنها من معانٍ قيمة .

(١) انظر : ديوان امرئ القيس ، ص ٢٧ ، مبحث التوظيف الجزئي ، للرسائل الإخوانية ، ص ٨٥ .

(٢) النص الشعري وآليات القراءة ، فوزي عيسى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ م ، ص ١٦-١٧ بتصرف .

ومن السمات التي تمخضت عن توظيف الشعر الجاهلي عند هؤلاء الكتاب في مقدمات الرسائل ؛ سمة رقد المعنى بالصورة ، وذلك عندما يمهد الكاتب للمعنى الذي يرمى إليه بالصورة الناجزة عند الشاعر القديم .

حيث وجد الكتاب في مثل هذا ضالتهن الفنية التي ساعدتهن على تقوية وتثبيت المعنى ، إلى جانب إثرائه بالصورة المسترفدة من الموروث العربي القديم .

ويتضح ذلك في مثل هذه الرسالة الديوانية التي يوجهها الكاتب أبو عبد الله بن أبي الخصال إلى بعض الكبراء معتذراً عن دعوة خاصة وُجّهت إليه ولم يلبّها (١) .

حيث يستهلها بقوله " يا عمادي الأعلى ، وكبيرى الموقر المفدى " ثم يردف ذلك بشطرٍ من بيت طرفة بن العبد مطوعاً إياه على ما يتوافق مع أسلوب رسالته قائلاً : ( .. ويدعو إلى مآدبة حين انتقر الناس الجفلى ) حيث رقد الكاتب معنى الاعتذار بصورة المديح التي وردت في البيت الشهير ، وأضاف إليها بذلك بُعداً فنياً ساعد على توضيحها وتثبيتها .

#### ب- أثر التوظيف في ثنايا الرسائل :

ومن السمات التي لحظتها الباحثة عند مجيء الأبيات القديمة المسترفدة في تضاعيف الرسالة ؛ سمة تكثيف المعنى وتركيزه من خلال المزج بين الشعر والنثر .

حيث يعمد الكتّاب هنا إلى استرفاد أبياتٍ سيارة أصبحت أمثلاً تجري بها الألسنة ، فيستحضرون بواسطتها التصوير القصصي الذي انطوى عليه المثل ، وهنا يظهر بجلاء الأثر الفني لهذا التكثيف ، وهو ما تلمحه الباحثة في رسالة أبي عبد الله بن أبي الخصال (١) .

---

(١) انظر نص الرسالة في : رسائل أبي عبد الله بن أبي الخصال ، ص ٩٨-٩٩ . انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الديوانية ، ص ٤٦ .

(١) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٧٧ .

حين استرشد الكاتب بيت الشاعر الجاهلي عنتره بن شداد :

تُبئت عمراً غيرَ شاكرٍ نعمتي

والكفرُ محبتهُ لنفس المنعم<sup>(١)</sup>

حيث يوظفه في ثانيا رسالته بقوله : ( ... ويمضي في سنن شكره ولا ينحرف ، فأما الكفرُ فهو لنفس المنعم محبته .. )<sup>(٢)</sup> .

وقد غدا بيت عنتره مثلاً يقول ( الكفر محبتهُ لنفس المنعم ) ويُضرب في كفر النعمة يفسد قلب المنعم على المنعم عليه )<sup>(٣)</sup> .

ولا تخفى فنية التكتيف باستحضار الصورة القصصية من هذا المثل العربي ..

فكثف المعنى وهو الشكر والامتنان من خلال استحضار الصورة التي انطوى عليها المثل .

ومنه أيضاً قول الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم<sup>(١)</sup> :

إذا ما اصطحبتُ أربعاً خطَّ مئزري

وأتبعْتُ دلوي في السخاءِ رشاءها

برواية أخرى ( أتبعْتُ دلوي في السماحِ رشاءها ) .

الذي ورد في ثانيا رسالة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال<sup>(٢)</sup> التي يقول فيها ( ومثلك أهدى مثله ، ووالى فضله ، وتابع بذله ، وأتبع دلوه في السماحِ رشاءها .. ) .

(١) ديوان عنتره بن شداد ، ص ٢١٤-٢١٥ .

(٢) انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ١٨٤ .

(٣) مجمع الأمثال ، للميداني ، ص ١٦٢ .

(١) ديوانه ، ص ٤٢-٤٣ .

ونراه يصبح مثلاً عربياً يقول ( ليس الدلو إلا بالرّشاء ) يضرب في تقويّ الرجل بأقاربه وعشيرته ( ٢ ) .

إذ عمد الكاتب هنا إلى تكثيف المعنى من خلال ما تنطوي عليه الصورة القصصية في المثل العربي ، وعلى هذا النحو تمضي كثير من الرسائل (٣) لتحقيق هذا المطلب الفنيّ الذي ألحّ عليه الكتّاب ، منبئين عن قدرتهم على الجمع بين المنظوم والمنثور ، جلباً لانتباه القارئ وإظهاراً لثقافتهم الأدبية ، وتقديراً منهم للتراث المشرقي ، ولا تخفى إمكانات المثل في تكثيف المعنى من خلال حضور الصورة ومثولها بين يدي القارئ .

### ج- أثر التوظيف في خاتمة الرسائل :

لا يشترط في أن يكون هذا الأثر مبنياً على أن يأتي البيت الموظف في نهاية الرسالة بل قد يكون في بداية المقطع الأخير منها ، ولكن الكاتب قصد به بداية النهاية ؛ فكان بمثابة مقدمة رائعة لخاتمة الرسالة .

يلون بما أسلوبه فيحقق أهدافاً فنية ، من بينها دفع الرتبة والملل عن نفس القارئ ، وإكمال طرفٍ آخر من الفكرة من خلال الشعر المسترشد .

وهنا نلمح كثيراً من الأشعار المسترشفة التي مهدت لخاتمة الرسائل ، وأظهرت الصورة جليّة فيها ، فنجد من ذلك رسالة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال (١) التي وجهها إلى صديق له في ردِّ وجيز على كتاب قد عُرض على أبي عبد الله بن أبي الخصال من أبي إسحاق السهلي .

(١) انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ٢ ، ص ٨٠٠ ؛ انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٨٠ .

(٢) مجمع الأمثال ، للميداني ، ص ١٨٨ .

(٣) انظر رسالة ابن خفاجة (الذخيرة) ق ٣ ، مج ٢ ، ص ٥٤٦ ؛ ورسائل ابن أبي الخصال انظر ، ص ١٨٣ .

(١) انظر : التوظيف الكلي للرسائل الإخوانية ، ص ٥٧ ؛ نص الرسالة من رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٢٩٣-٢٩٤ .

فالكاتب أراد أن يثبت له مدى حرصه على هذا الوعد والالتزام ، وختم هذه الرسالة برأيه في ذلك الأمر بهذا البيت لأبي ذؤيب الهذلي في صورة جليّة ، مهدت إليها خاتمة شعرية تنضح بالثقة والاعتزاز بالرأي ؛ إذ استعان الكاتب ببيت أبي ذؤيب الهذلي الذي يقول فيه :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغبتّها

وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع<sup>(١)</sup>

ليتمم الفكرة المنثورة فيدعمها بعد تثبيتها ، وفي السياق نفسه عبّرت خاتمة بعض الرسائل عن تعلق الكتاب بمحفوظهم من الشعر القديم ، حيث نجد الكاتب يقصد عمداً إلى محفوظه من التراث القديم ، فيورد في المقطع الأخير من رسالته البيت الشعري كاملاً بلفظه ومعناه ، ليؤكد الفكرة ويكملها ، ومنه رسالة ابن خفاجة في التعازي التي عبّرت خاتمتها عن حقيقة جليّة وأمر حتمي ، ولكن البيت أتى ليحصل أمراً حاصلًا فنختم رسالته بقول دريد بن الصمّة :

صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسه

فلما علاه قال للباطل ابعدي<sup>(١)</sup>

فالكاتب جعل من رسالته في التعزية حديثاً مكروراً عن تمسك الإنسان بهذه الدنيا وتعلقه بأمر زائل لا محالة ، وهو من الاستطراد الذي وشّى به الكاتب رسالته ، ثم انتقل إلى ذكر الموت في توطيد رائع وخاتمة تتناسب مع موضوع الرسالة لتحقق الرسالة بذلك تواصلًا مع التراث من ناحية ومن أخرى بعداً فنياً يثري به الفكرة ويشد من أزرها<sup>(٢)</sup> .

(١) ديوان الهذليين ، ص ٣ .

(١) ديوان دريد بن الصمّة ، ص ٥٠ .

(٢) انظر مبحث التوظيف الكلي للرسائل الإخوانية ، ص ٥٨ .

كما لحظت الباحثة أن معظم الرسائل التي وقفت عليها تأتي من قبيل التوظيفات الكلية للرسائل ، سواء كانت ديوانية أو إخوانية ، وذلك لأنها أنسب طريقة يعبر فيها الكاتب عن معنى مختصر وملخص يختم به رسالته فيتمكن ذلك المعنى من نفس القارئ ويلتصق بها .

وفي السبيل إلى تحقيق ذلك يتصرف الكتاب مدللين على مهارتهم الأدبية بتوفيقهم بين موضوع الشعر المسترفد ، والفكرة التي تضمنتها رسائلهم ، فيعضدون ما جاء في خاتمة الرسالة بالبيت الشعري ، وهنا يصبح التعبير الشعري ، بما يحمله من مزايا وإيماءات ، أنسب وأقرب وأظهر من التعبير الشري .

ويمكن استجلاء ذلك من خلال رسالة الكاتب أبي عامر التاكري (١) التي وظف في خاتمتها بيتين يعبران عن معاناته وتجربته المريرة مع تخيره السيئ لأصدقائه ؛ إذ يختم رسالته بقول الشاعر امرئ القيس :

إذا قلت هذا صاحبٌ قد رضيتَه

وقرّرت به العينان بدلت آخرا

كذلك جدّي ما أصاحب صاحباً

من الناس إلاّ خاني وتغيرا (١)

وهي تتناسب مع الخاتمة التي ختم بها الكاتب رسالته في قوله ( ولا عتب على الدهر فإن العتب على بنيه والدم لازمٌ لأهليه ، والناسُ بأزمانهم أشبه منهم بأبائهم ) (٢) .

(١) انظر : مبحث التوظيف الكلي للرسائل الديوانية ، ص ٢٧ .

(١) ديوان امرؤ القيس ، ص ٦٩ .

(٢) الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٢٢٩ .

وهي خاتمة موجهة سرعان ما تلتصق بنفس قارئها ، عبر فيها الكاتب بصورة يمتزج فيها النثر مع مضمون الأبيات الموظفة .

\* \* \*

وهكذا وبعد هذه الجولة المتأملّة في ثنايا أثر التوظيف في التشكيل البنائي للرسائل عند هؤلاء الكتّاب في هذا القرن تستطيع الباحثة القول : إنهم تابعوا السير على نهج الكتّاب الذين سبقوهم إلى ذلك .

إذ دارت طرائق التوظيف في افتتاحيات الرسائل ووسطها وخاتمها في فلك بناء الرسائل التي حرص عليها الكتّاب الذين سبقوهم ، واستمرت سمة التوظيف للشعر الجاهلي ودعمه لتشكيلات بناء رسائلهم ماثلةً وحاضرةً بقوة فيما كتبوا .

ومع أن كتّاب الرسائل هنا تميزوا بقدرتهم على إظهار مرونة الأسلوب الذي يبدو من خلال استرفاد الشعر الجاهلي ودمجه في سياق النثر ، ومن ثمّ الارتقاء بفنّيّة الرسالة ؛ فإن هذه الميزة معروفة عند الكتّاب السابقين .

# المبحث الرابع

الأثر الموظف بين

الإيجاب والسلب

## الإيجابيات :

بعد استقراء الباحثة للرسائل التي وظف فيها الكتاب أبياتاً من الشعر الجاهلي تستطيع القول : إن الأثر الذي تركه ذلك التوظيف قد جاء متفاوتاً بين الإيجابية والسلب ، وهذا أمرٌ طبيعي مرده إلى تفاوت الكتاب بين من يمتلك البراعة والمقدرة على هضم المسترشد ومن ثم تمثله ، وغير القادر على تمثيل ذلك المسترشد .

\* ومن الإيجابيات التي حققها الكتاب هنا في توظيفهم للشعر القديم في رسائلهم : توجههم الإيجابي صوب عصور قوة الأدب وازدهاره ( الشعر الجاهلي ) وإعجابهم به ، وقد استرشدوا منه ما يعني معانيهم وصورهم ، وهو هدفٌ اكتسبت منه رسائلهم بعداً فنياً لا يخفى على القارئ ، إلى جانب أن ارتباط الأدباء الأندلسيين بالتراث المشرقي قد شكّل حلقةً متينة من حلقات التواصل الناضج مع التراث ، ولقد أشار النقاد والدارسون منذ القدم إلى ذلك ، ومنه حديث ابن بسام عن إعجاب الكتاب والشعراء بالتراث المشرقي حيث يقول : ( إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنماً وتلوا ذلك كتاباً محكماً )<sup>(١)</sup> .

كما أن الشكف بالتراث والإفادة من مضامينه المتعددة يُسهم أيضاً في تطوير فن الأديب ، شاعراً كان أم كاتباً ، والارتقاء بأدواته التشكيلية وقدراته التعبيرية<sup>(٢)</sup> .

وهنا تؤكد الباحثة أن كتاب الرسائل في هذا القرن - وهم إلى جانب ذلك شعراء - أجادوا في انتقاء المادة المستلهمة من الشعر القديم ، بعد أن عايشوها وانصهروا فيها وربطوها بتجارهم التي تتطابق مع الأفكار التي تناولتها رسائلهم .

(١) انظر : الذخيرة ، ق ١ ، مج ١ ، ص ١٢ .

(٢) جماليات القصيدة المعاصرة ، د. طه وادي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩٤ م ، ص ٨١ .

وليس أدل على ذلك التوجّه الإيجابي من توظيفهم لأبياتٍ شعرية تعود إلى أشهر شعراء  
المعلقات ، ومنه توظيف الكاتب أبي مروان بن أبي الخصال ، والكاتب أبي عبد الله بن أبي  
الخصال لبني امرئ القيس اللذين وردا في معلقته ومطلعها :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمِثْلٍ

بسقط اللوى بين الدخولِ فحوملٍ<sup>(١)</sup>

حيث وظف الكاتبان بنبي امرئ القيس وهما :

فأضحى يسحُ الماءَ عن كل فيقةٍ

يكبُّ على الأذقانَ ذُوحَ الكنهيلِ<sup>(٢)</sup>

والآخر هو :

وقد أغتدي والطيرُ في وكناتها

منجردٍ قيّد الأوابدِ هيكلِ<sup>(١)</sup>

وقد أجادا في توظيفهما لخدمة الفكرة التي قصد إليها<sup>(٢)</sup> .

وكذا استرفاد الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال لبني من معلقة عنتره بن شداد السبي

يقول في مطلعها :

هل غادرَ الشُعراءُ من متردمٍ

أم هل عرفتَ الدارَ بعدَ توهمِ<sup>(٣)</sup>

---

(١) انظر : المعلقة السبع للزوزني ، ص ٧ .

(٢) الديوان ، ص ٢٤ .

(١) الديوان ، ص ١٩ ؛ والمعلقة السبع ، ص ٢٩ .

(٢) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٨٣ ، ٩١ .

(٣) المعلقة السبع ، ص ١٣٧ ؛ والديوان ، ص ٢١٢ .

حيث وظف الكاتب قول عنتره من المعلقة :

نُبئتُ عمراً غيرَ شاكرٍ نَعْمَتِي

والكُفْرُ مَحْبِثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ<sup>(١)</sup>

والبيت الآخر هو :

وكانَّ فارةً تاجرٍ بقسيمَةٍ

سبقت عوارضها إليك من الفم<sup>(٢)</sup>

حيث استعان بهما على ما يعمق فكرته ويثري تجربته ، وينم عن اتساع مجال رؤيته<sup>(٣)</sup> .

وكذلك استرفاد الكاتب ابن خفاجة لبيت من معلقة النابغة الذبياني التي يقول في

مطلعها :

يا دارَ مِيَّةٍ بالعلياءِ فالسندِ

أقوتُ ، وطال عليها سالف الأبد<sup>(١)</sup>

حيث وظف الكاتب بيت النابغة في رسالته وهو :

أُمست خَلاءً وأمسى أهلها احتملوا

أخنى عليها الذي أخنى على لُبد<sup>(٢)</sup>

فلقد أتى هذا البيت المسترفد ضمن استخدامات الكتاب العديدة للتوظيف ، التي جاء فيها استخدام ابن خفاجة لبيت النابغة في استعراض ثقافته النحوية والإشارة إلى قوة هذه الحافظة الأندلسية واهتمامها بالتراث المشرقي القديم<sup>(٣)</sup> .

(١) الديوان ، ص ٢١٤-٢١٥ ؛ والمعلقات السبع ، للزوزني ، ص ١٥٠ .

(٢) ديوان عنتره بن شداد ، ص ١٩٥ ؛ والمعلقات السبع ، ص ١٤٠ .

(٣) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٨٧ .

(١) شرح القصائد العشر ، للخطيب التبريزي ، تحقيق وضبط : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ، ص ٥١٢ .

(٢) الديوان ، ص ١٦ ؛ وشرح القصائد العشر ، ص ٥١٦ .

(٣) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٦٩ .

كما أنهم لم يتوقفوا من استرفاد الشعر عند المعلقات ، بل تجاوزوا ذلك إلى أشعار منتقاة من القدامى وجدوا فيها ما يخدم مقاصدهم في فن كتابة الرسائل .

وتكتفي الباحثة بالإشارة إلى عديد من النماذج الدالة على ذلك ، في طيّات مباحث هذه الرسالة <sup>(١)</sup> .

\* ومن إيجابيات التوظيف المطرّدة التي يلمحها المتتبع لرسائل هؤلاء الكتّاب : سعيهم الدؤوب وراء الارتقاء بأدواتها الفنية وقدراتها التعبيرية ؛ عن طريق الإفادة من مضامين النصوص الشعرية القديمة ، والكاتب المجدّ هنا هو القادر على [ حل معقود الكلام فالشعر رسائل معقودة ، والرسائل شعر محلول ] <sup>(٢)</sup> واستخدام موهبته الفنية وبراعته في الكتابة بحرفيّة ، وتوازن بحيث لا تطغى فيه كفة الموروث الشعري على حاضرهم في كتابة الرسائل ، ولا العكس من ذلك .

وتدرك الباحثة ، من خلال ملازمتها لفن رسائل هؤلاء الكتّاب ، أنهم جميعاً يحاولون الوصول إلى هذه الإيجابية ؛ ولكن من يتسنى له تحقيقها هم قلة من المبدعين الذين تنبهوا لدور الوعي بالتراث ، ومنه موروث الشعر الأصيل في تقوية فهم الكتّابي ، وجعله مصدراً يثري قدراتهم التعبيرية ويطور أساليبهم وطرائقهم .

ويبدو مثل ذلك من خلال رسالة الكاتب أبي عبد الله محمد بن مسلم <sup>(١)</sup> ، وكذا رسالة الكاتب ابن خفاجة <sup>(٢)</sup> التي يظهر فيها أثر تمرسهم باللغة وقدرتهم على تصريف ما اختزلته ذاكرتهم في سياق يخدم رسائلهم .

---

(١) انظر : رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٨٨ ؛ مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٧٣ ، مبحث التوظيف الكلي للرسائل الديوانية ، ص ٢٥ .

(٢) عن رأي العتّابي في البلاغة انظر معيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، تحقيق : طه الحاجري ، محمد زغلول سلام ، القاهرة ، ط ١٩٥٦ ، ص ٧٨ .

(١) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الديوانية ، ص ٤٠ ، ٤١ .

(٢) انظر : التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٦٩ .

\* ومن الإيجائيات التي اتخذت عمقاً فنياً في توظيف الكتاب الأندلسيين للشعر القديم في رسائلهم : إكساب الماضي سمة التجدد والديمومة والحضور الفاعل ( المتمر ) من خلال استلهامه في الحاضر المعيش، والإفادة من طاقاته الفنية المحفزة بطرائق مختلفة تتضافر فيها التجربة مع اللفظ والأسلوب والمعنى والصورة ، لتشكل في النهاية لوحة أدبية يتمازج فيها لون النثر مع الشعر ، والماضي مع الحاضر ، عن طريق تعميق الفكرة المقصودة بربطها بالتراث الشعري الأصيل .

على أن الوصول إلى مثل هذه الإيجائية لا يتحقق إلا على يد كاتب موهوب لديه مهارة أدبية وقدرة فائقة على الجمع بين المنظوم والمنثور بسلاسة ، وهنا تدرك الباحثة أن الطريق إلى تحقيق ذلك غير يسير ، ومن هنا كانت الندرة سمة لكتاب هذا القرن .

\* ومن المحاولات القليلة التي يمكن التمثل بها على تحقيق شيء من هذه الإيجائية :  
توظيف الكاتب ابن أبي الخصال لبيت امرئ القيس الشهير :

وقد أغتدي والطير في وكناتها

بمنجرد قيد الأوابد هيكل<sup>(١)</sup>

فهذه اللفظة الشهيرة " قيد الأوابد " عندما تطلق ينصرف الذهن مباشرة إلى بيت الشاعر الجاهلي امرئ القيس الذي خص به وصف فرسه الشهير ، ولكن الكاتب قد أراد بذكره تقييد الأوابد هنا سبق ممدوحه في رسالته إلى الفضيلة ، وحسن تصريفه للأمور وقضاءه للحاجات الممتنعة ، فهي قد حوّلت في رسالته - على نحو ما أراد - من ملك شائع إلى ملك خاص<sup>(٢)</sup> .

(١) الديوان ، ص ١٩ .

(٢) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٩١ .

وكذا تبرز هذه الإيجابية مرةً أخرى عند هذا الكاتب في توظيفه للوقفة الطللية ، عند امرئ القيس التي يقول فيها :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي <sup>(١)</sup>

فمع أن الكاتب يوردها في سياق المداعبة إلا أنه يكسبها الجده عندما يجعلها تحضر بقوة مستثمراً الطاقة الفنية التي توحى بها الوقفة ؛ فيعمق فكرته مستنداً إلى مهاراته الأدبية ، وقدرته على الجمع بين المنظوم والمنثور .

\* ومن الإيجابيات التي حققها كُتّاب الرسائل إثر توظيفهم للشعر القديم بمزجه بالثر : إمتاع القارئ من خلال التنقل به من فنٍ إلى آخر ، وليس الأمر هنا من أجل التنويع فقط ولكن من أجل تثبيت الفكرة ووضع الحجّة أمام الحجّة ، والمعنى أمام المعنى ، والتعبير عن دقة الانتقاء من المخزون الشعري الذي يسترفده الكاتب معبراً به عما يجول بخاطره ، وهنا تتأكد هذه الإيجابية منعكسةً على القارئ حيث تساعده فنية التوظيف هذه على السير قدماً في القراءة دونما ملل أو تعب ؛ فطبيعة النفس البشرية محبة للتنقل أو التغير ، لاسيما إن استدعى الأمر القراءة المطوّلة .

وقد تكون هذه الإيجابية مكملّةً لسابقتها ، والشواهد على ذلك هي ذات الأمثلة التي سيقّت في هذه الرسالة .

ويتبين من خلال ما تقدم أن البعد الفني لإيجابية التوظيف يكمن في قدرة الكاتب على التعامل مع التراث والإضافة إليه وتجديده .

### سلبيات التوظيف :

قد يظهر مع إيجابيات التوظيف العديدة بعض من سلبياته التي تتفاوت بين كُتّاب الرسائل ( موضوع البحث ) قلةً وكثرةً ، تبعاً لثقافة الكُتّاب وقدراتهم وطرائق تناولهم لفنهم الأدبي .

(١) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٨٥ .

وليس هدف الباحثة من وراء الإشارة إليها الانتقاص من قدر هؤلاء الكتّاب أو التطاول عليهم ، بل إن الباحثة تعرضُ من خلالها وجهةَ نظرٍ قابلةً للأخذ والرد .

\* ومن بين هذه السلبيات الواضحة التي وقفت عليها الدارسة في توظيف البيت القديم : أن البيت الموظف - في بعض الأحيان - يهيمن على فكرة الأديب في الرسالة ، وهنا يكون البيت المسترفد بما تضمنه من أفكارٍ ومعانيٍّ وصورٍ ومعجمٍ محرّكاً ؛ بل مؤسساً يقود الفكرة التي بنى عليها الكاتب نصه الكتابي .

وترى الباحثة في ذلك تصوراً قد يلحق بالكاتب ونصه : إذ إن الفكرة والمعنى مركوان في الذاكرة ومسيطران عليها ويعملان سلباً في تغليب روح البيت على النص .  
حيث يبدو الكاتب من خلال نصه خاضعاً وتابعاً لكل ما تضمنه ذلك المسترفد ، وهنا يعود الماضي في الحاضر دون إضافةٍ إليه ، أو بصورةٍ أخرى يرتدُّ الحاضر إلى الماضي ليعيش في كنفه .

ويبدو الكاتب من خلال ذلك غير قادرٍ على التغلّب من إسهاره ورقته رغم ما تقتضيه متطلبات البعدين الزماني والمكاني .

وتبدو هذه السلبية بصورة أكبر ( عندما يجعل النص الموظف الأديب خاضعاً للتقاليد الفنية والفكرية خضوعاً قد يغلب فكره ، ويعرقل إلهامه وإبداعه ) (١) .

ويتضح أثر هذه السلبية في التوظيف من خلال رسالة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال (٢) الديوانية التي وجهها إلى بعض الكبراء يعتذر عن دعوة وُجّهت إليه ؛ حيث تدور فكرة الرسالة في فلك البيت الشعري المستجلب من لدن طرفة بن العبد الذي يقول فيه :

(١) أثر التراث العربي القديم في الشعر العربي المعاصر ، د. ربيعي عبد الخالق ، ص ٤٠ .

(٢) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الديوانية ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

## نحنُ في المشتاةِ ندعو الجفلى

لا ترى الآدبَ فينا ينتقر<sup>(١)</sup>

ومع أن الموقف يستدعي تحويل الفكرة من الفخر إلى الاعتذار إلا أن الكاتب بعد حل منظوم البيت ، ينساق وراء توظيف فكرة الفخر التي اشتمل عليها بيت طرفة ، وهنا تترد الفكرة إلى أصولها التراثية ، معبرةً عن المشهد القديم ، ويظهر الكاتب من خلالها قانعاً بعد استسلامه للفكرة ، وعاجزاً عن إضافة بُعدٍ جديد إليها فيوردها كما هي .

\* ومن السلبيات التي تراها الباحثة وتظهر أحياناً في توظيف الكتاب للبيت القديم : الجنوح للتصنع من خلال حشو رسائلهم بما يدل على استعراضهم لثقافتهم الأدبية واللغوية ؛ ومع أن مثل هذا الصنيع ، يعد في نظر بعض النقاد والدارسين<sup>(١)</sup> سمةً يستدلون بها على قدرات كتاب هذا العصر وسعة أفقهم إلا أن السلبية تكمن في سطحية توظيفهم ؛ إذ لا يعدو أن يكون مجرد ذكر لذلك المسترفد .

ومن ذلك نجد رسالة الكاتب ابن خفاجة<sup>(٢)</sup> التي وجهها إلى بعض إخوانه ، وكانت بينهم وبينه مقاطعة فاتفق أن ولي ذلك الصديق حصناً فخاطبه ابن إسحاق برسالته التي نجد فيها توظيفه لبيتي النابغة :

أمستُ خلاءً وأمسى أهلها احتملوا

أخنى عليها الذي أخنى على لُبد<sup>(٣)</sup>

عفا ذو حُسى من فرتنى فالقوارعُ

فجنبنا أريكَ فالتلاعُ الدوافعُ<sup>(٤)</sup>

(١) البيت ديوان طرفة بن العبد ، ص ٦٥ .

(١) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، للدكتور / إحسان عباس ، نشر : دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ٧ ، ص ٢٨٥ .

(٢) انظر : مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٣) الديوان ، ص ١٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٠ .

والتي نجد فيها توظيفه للأبيات النابغة التي لا تلبث أن تنثال من ذاكرة ابن خفاجة ممثلةً  
السطحية في التوظيف ، واستعراضاً نحويًا ولغويًا ، دون أن يضيف ذلك إلى آليّة التوظيف شيئاً  
جديداً .

\* ومن السلبيات التي وقفت عليها الباحثة في طرائق توظيف الشعر الجاهلي عند بعض  
كُتّاب هذا العصر : الإيهام واللبس الذي قد ينتج عند القارئ من ميل الكُتّاب إلى عدم العناية  
بتوثيق الأبيات ونسبتها إلى قائلها .

حيث يستدعي الأمر من القارئ خبرةً ودرايةً وتمرساً بالشعر القديم ليتمكن من الوقوف  
على نسبة الأبيات الصحيحة إلى أصحابها ، وهنا تحسن الباحثة الظن بمؤلاء الكُتّاب ولا تضعهم  
في باب السرقات الشعرية التي أشار إليها القدماء والمحدثون ؛ والذي تراه أنهم عبّروا بذلك  
الصنيع في لحظة اندماجٍ مع موروثهم الذي أعجبوا به ، وشغل حيزاً لا يستهان به في ذاكرتهم  
الأدبية ، ومع هذا كله كان ينبغي عليهم الإشارة إلى ذلك حتى يفهم القارئ العادي أن البيت  
لغير الكاتب .

ومثل ذلك يظهر في رسالة الكاتب ابن طاهر <sup>(١)</sup> في التعازي التي وظف فيها بيت  
النابغة :

فما كان بين الخير لو جاء سألماً

أبو حُجْرٍ إلا ليالٍ قلائلُ <sup>(٢)</sup>

حيث أدرجه الكاتب في سياق رسالته بعد قوله ( ولقد قلتُ لما غالتني فيه الغوائلُ ) <sup>(٣)</sup> .

فما كان ما بيني لو أبي لقيته

وبين الغنى إلا ليالٍ قلائلُ

(١) انظر : مبحث التوظيف الكلي للرسائل الإخوانية ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٢) انظر : ديوان النابغة ، ص ١٢٠ .

(٣) نص الرسالة . انظر : الذخيرة ، ق ٣ ، مج ١ ، ص ٨٤ .

فمع أنه بدّل بعض الألفاظ لمواءمة سياقه إلا أن حضور بيت النابغة كان قوياً لفظاً ومعنى وصورةً .

ولا يمكن أن يسوغ مثل هذا الصنيع من الكاتب أو غيره إلا في سياق القول : إنه عمد إلى ذلك الاندماج والتمازج بعد الإعجاب في لحظةٍ من اللاوعي .

هذا ولا تخلو رسائل هؤلاء الكتّاب ( موضوع الدراسة ) أو غيرهم في باقي العصور من سلبيات قد تُلم بقليل من الرسائل ، وهي في الأغلب الأعم من السلبيات التي تخضع لتفاوت الكتّاب بين القدرة والتجويد والموهبة .

كأن يعمد الكاتب إلى توظيف البيت الشعري أو جزء منه في غير موضعه ، وهنا تظهر سلبية تحميل النص ما لا يطيق ، فيكون التوظيف عاملاً سلبياً يثقل كاهل النص الثري ، ويهمل معيار صلاحية الفكرة الموظفة للانتفاع بها والإضافة إليها .

أو أن يكون مراد الكاتب من وراء توظيفه لأبيات الشعر الجاهلي إطالة المعنى دون أن يستدعي الأمر تلك الإطالة ، وهذا اللون من السلبية التفت إليه النقاد القدامى والمحدثون وأشاروا إلى ( أن هذه الإطالة وإن عدت لوناً من ألوان الاحتيال والبراعة في تقليب المعنى ظهراً لبطن ، فإن إيجاز المعنى الطويل عند الكاتب يعتبر أيضاً من مظاهر الافتنان في الكتابة )<sup>(١)</sup> .

---

(١) انظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البحوي ، ط ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، ص ١٢٢ إلى ٢١٩ ؛ والسرققات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها ، للدكتور / بدوي طبانة ، ص ٢١١ ، وما يليها .

# المبحث الخامس

الأغراض التي وظفها

الأندلسيون في رسائلهم

## مدخل :

يظهر لنا من خلال استعراض بعض من رسائل الكتاب الأندلسيين التي وُظف بها الشعر الجاهلي ؛ أن هذه الأبيات الموظفة شكلت عنصراً أدبياً أضاف إلى الرسائل قيمة فنية ومنحى أدبياً وتاريخياً آخر ، عبّر فيه الكاتب عما أراد دون بترٍ أو اجتزاء لفكرته الأساسية .

وهي حلية أدبية يحلي بها الكتاب رسائلهم استعراضاً لثقافتهم الأدبية الخاصة ، واستكمالاً للمشهد الذي أرادوا رسمه في مخيلة قارئهم ، وهي تمثل عادة أردفت بها طريقة الكتابة الرائجة آنذاك ، وتلاحظ الباحثة أن الأغراض التي وردت في رسائل الكتاب في هذه الدراسة متنوعة ، ولو ذهبت الباحثة في حصرها لشكلت محوراً خارجاً عما تقتضيه الدراسة ، ولكنها ستقتصر على أكثر الأغراض دوراناً في توظيفات الكتاب لأنها معنية بهذا ، وليست معنية بحصرها .

هذا ولا تتطلب الدراسة لهذه الأغراض الوقوف على معانيها وقيمها ، فقد سبقت عدة دراسات أدبية إلى ذلك ، ولكن الكتابة في هذا المبحث ستهتم بعلاقة البيت الشعري بغرض الرسالة ونقطة الاتصال بينهما ، وما تجلّى عن ذلك من معانٍ أفادت الرسالة . ومدى مساهمة التوظيف في الإبانة عن وجهة نظر الكاتب والإفصاح عنها .

ونجد أكثر أغراض دوراناً في رسائل الكُتَّاب الأندلسيين في القرن الخامس :

### أولاً : المدح :-

وهو فنٌ عربيٌ قديمٌ نسج عليه أغلب الشعر العربي ، ( فلقد حفلت دواوين الشعر العربي بأشعار المدح التي عبر فيها الشعراء عن مواقفهم تجاه ممدوحهم ؛ إما إعجاباً ذاتياً بهم ، أو تسجيلاً لأبرز مآثرهم ، أو رغبةً في نوالهم وعطاياهم والتقرب إلى الممدوحين )<sup>(١)</sup> .

فنلاحظ أن أبيات المدح أتت مؤازرة تراثية لما أراد الكاتب أن يصف به ممدوحه ، كأن يمدح فعله أو سمة برزت عليه أو يشيد بانتصاراته ؛ بيد أن المدح يعبر عن مواقف فردية شكلت استثثار الكتاب ، وبالأخص كتاب الرسائل الديوانية دون أن يكون الهدف من وراء هذا المدح ما كان يسعى وراءه الشعراء في الجاهلية من التكسب ، فلا يقصدون به النوال من عطايا ممدوحهم ، كما كان الحال عند - بعض شعراء الجاهلية - ولا يعني هذا الأمر بالضرورة توجه قصيدة المدح الجاهلية نحو التكسب وحده ، بل اتجهت إلى الجماعة أو القبيلة ، أيضاً فالبادية احتضنت قصيدة المدح ورعتها على نحو ما نراها عند النابغة في مدح الغساسنة والمناذرة ، كما احتضنت المدينة قصيدة المدح المتكسبة ورعتها ، ويفهم من ذلك أن قصيدة المدح الجاهلية لم تكن سلعة معروضة للبيع دائماً بل اتجر بها بعض من أشهر شعراء الجاهلية<sup>(١)</sup> .

وإن من أشهر أبيات المدح الموظفة في هذه الرسائل بيت الأعشى :

به تنفض الأحلاسُ في كلٍ متزلٍ

وتعقدُ أطرافُ الحبالِ وتطلقُ<sup>(٢)</sup>

---

(١) الإنسان في الشعر الجاهلي ، لعبد الغني زيتوني ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات ، ط ١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ، ص ١١٠ .

(١) بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي قصيدة المدح أمودجاً ، وهب رومية ، دار سعد الدين ، دمشق ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ص ٨١ ، ٨٢ بتصرف .

(٢) ديوان الأعشى ، ص ١٢٩ .

فهو تعبير عن صفات القوة والشجاعة والفروسية والإشادة بالانتصار في المعارك ،  
ويتطابق هنا مع رأي الكاتب أبي عبيد البكري في رسالته الديوانية <sup>(١)</sup> .

حيث أُرْدِفَ توظيف هذا البيت بعبارات تشيد بالمدوح وتعبّر عن التهنتة بالانتصار  
" شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة " <sup>(٢)</sup> .

وهو ما أثبت رغبة الكتّاب الأندلسيين في توضيح أفكار رسائلهم والتدليل عليها عن  
طريق توظيف أبيات الشعر الجاهلي .

وكذا ما أتى في رسالة الكاتب ( ابن عباس ) الديوانية من أبيات للنابغة الذبياني وامرئ  
القيس يرد فيها على ابن غرسية بمدحه لهذا الجيش وبعته رجاله بأنهم أصحاب قوة وشجاعة في  
حربهم وسلمهم .

والكاتب بتوظيفه لثلاثة من أشهر أبيات المدح يؤكد فكرة الرسالة ، ويبرهن على  
وصفه لهذا الجيش القوي في توظيفات معمّاة وجزئية لأشهر شعراء الجاهلية .

١- إذا ركبوا الخيلَ واستلأموا

تحرقت الأرض واليوم قُرَّ <sup>(١)</sup>

٢- لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم

من الجود والأحلام غير عوازب <sup>(٢)</sup>

٣- رقاق النعال طيبٌ حُجْزَاتِهِمْ

يجيون بالريحان يومَ السباسب <sup>(٣)</sup>

(١) انظر مبحث التوظيف الكلي للرسائل الديوانية ، ص ٢٥ .

(٢) انظر النص في الذخيرة ، ق ٢ ، مج ١ ، ص ٢٢٦ .

(١) ديوان امرئ القيس ، ص ١٥٤ .

(٢) ديوان النابغة ، ص ٤٦ .

(٣) ديوان النابغة ، ص ٤٩ .

أما بيت الشاعر الأعشى :

نفى الذم عن آل المخلِّقِ جفنة

كجايبة الشيخ العراقي تفهق<sup>(١)</sup>

الذي وظفه الكاتب أبو عبد الله محمد بن مالك الطغثري في رسالته<sup>(١)</sup> مؤكداً إعجاب هؤلاء الكتاب بقصيدة المدح عند الأعشى لآل المخلِّق .

وهنا اجتمع مراد الكاتب مع ما أراده الأعشى في بيته ، حيث أراد الكاتب نسبة المبالغة ومجازة الحد في الشيء ليصل به إلى حد التفهق كفعل الشيخ العراقي الذي يملأ جايبته بالماء لأنه حضري لا يعرف مواقع الماء فعندما يجده يكثر منه في جايبته<sup>(٢)</sup> .

وهو ما وافق فعل الغلام وبره به في الحمام ، كما نفى الأعشى الذم عن آل المخلِّق كلهم ، فصحة المقابلة بين المعنيين واضحة وإن كان الجامع بينهما المدح .

### ثانياً : الحكمة :

لقد تأمل الشاعر الجاهلي في قضايا الحياة والناس ، وعاشها بنفسه ، فنظر وخبّر واستمع إلى تاريخ السابقين والتمس منه العبر والعظات وأخذ يفكر في أمر دنياه ، وأثمر عن ذلك حكماً رائعة ومجردة في تناول الفطرة السليمة فهي وليدة تجربة شخصية صاغوها في فكر راقٍ ونظرة ثاقبة<sup>(٣)</sup> .

ولقد استخدم الكتاب غرض الحكمة كما استخدمه الشعراء ، بل إنهم دعموا به رسائلهم ، فاسترفدوا الأبيات الشعرية القديمة التي تنتمي إلى العصر الجاهلي ؛ لأنهم وجدوا في

(١) ديوان الأعشى ، ص ١٣٠ .

(١) انظر مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٧٥ .

(٢) قراءة في الأدب القديم ، ل محمد أبو موسى ، ص ٢٨٥ .

(٣) الأصول الفنية للشعر العربي ، سعد شلبي ، ص ٣٨٠ .

المعاني القديمة ما يؤكد معانيهم التي قصدوها ، وكانت تلك المعاني هي المحور الذي تركزت حوله موضوعات وأفكار رسائلهم .

ونجد أن هناك حكماً ناقشها الشعر الجاهلي بالرغم من بعد الرؤية الدينية ، الصحيحة عن منظور أصحابها ، إلا أن هؤلاء الشعراء ربطوا العديد من صفات الكرم والفروسية والشجاعة ودمائة الخلق بحكم رائعة نوجز بذكر بعض منها :

قول حاتم الطائي في بيته الشهير :

أماويّ إن المالَ غادٍ ورائح

ويبقى من المال الأحاديثُ والذكر<sup>(١)</sup>

فالكرم عادة اجتماعية ارتبطت بذلك الشاعر الجاهلي الذي يعد أكثر الشعراء الذين أشبعوا أشعارهم جدلاً بها .

وهنا توافق أيضاً استلهام الكاتب لبيت الشاعر حاتم الطائي مع غرض البيت الشعري ، سوى ما أتى في توظيف الكاتب من تحوير بسيط - لا ينم إلا على مقدرة الكاتب على تطويع الألفاظ لخدمة غرض الرسالة - وهو لم يبعد عن المعنى المروم بل إنه حقق توافقاً معه ، وأضاف إليه قوة وجمالاً<sup>(٢)</sup> .

ونجد أيضاً من أبواب الحكمة وأمثلتها الموظفة في رسائل الأندلسيين حكماً ذات مصدرٍ فطري لعبت فيها الفطرة دوراً مهماً ، ونسجتها قريحة الشاعر الجاهلي ثم توجهت حافظتها الكتاب الأندلسيين في سطور رسائلهم النثرية .

(١) ديوان حاتم ، ص ١٩٩ .

(٢) انظر مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوائية ، ص ٧٢ .

( ومنها ما تميل إحساس الشاعر الجاهلي بالزمن فيجعله يندفع إلى اغتنام أوقات الشباب والحرص عليها ، فيكون التصابي في هذا الوقت محبباً لبعضهم ، وهذا ما يجعلهم يربطون الحياة بالمتعة ، ويشعرون بوطأة الغناء على أيامهم فيتحررون - في تصورهم الخاطئ - من قبضة الزمان وقيده )<sup>(١)</sup> .

ونجد في هذه الرسالة الإخوانية توظيفاً كلياً لبيت الشاعر دريد بن الصمة<sup>(٢)</sup> :

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ

فلما علاه قال للباطل ابعُد<sup>(١)</sup>

وهو ما يناقض مفهوم البيت وفكرته - في ظاهر الأمر - ولكن يتفق مع استطراد الكاتب وقدرته الرائعة في تنظيم الأفكار ودقة إيصالها إلى المتلقي وربطها بسلسلة مع غرض البيت الشعري ومعناه .

فالبيت حمل حكمة واضحة وهي أن لكل شيء نهاية ، وهو ما يوافق رسالة الكاتب في التعزية .

وفي تجرد نفس أبي ذؤيب الهذلي قيمة جمالية أخرى ، وإحساس بأهمية هذا الصراع الداخلي الذي دار في نفس الشاعر ونتج عنه هذا البيت :

والنفس راغبة إذا رغبتّها

وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع<sup>(٢)</sup>

---

(١) الإنسان في الشعر الجاهلي ، ص ٤٢٠ .

(٢) انظر مبحث التوظيف الكلي للرسائل الإخوانية ، ص ٥٩ .

(١) ديوان دريد بن الصمة ، ص ٥٠ .

(٢) ديوان الهذليين ، ص ٣ .

فالكاتب كأنه أقام الرسالة كلها على فكرة مثالة من نسج فكرة بيت الشاعر أبي ذؤيب ولم يلبث أن يسجل كلماتٍ أخيرة لتكون شاهداً على توافق ذلك التوظيف مع رسالة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال<sup>(١)</sup> ومنها قوله " ولا بد لي من متابعة برك ، والإيضاح لي عن حلية أمرك ، وكيف صدرت ، ومتى انحدرت والسلام " .

فكان البيت يمثل خلاصة ما أراد إيصاله لأبي إسحاق السهلي ، وهو الالتزام بما أراده وعدم الإعراض عنه .

ومن ذلك بيت عمرو بن معد يكرب الزبيدي<sup>(١)</sup> .

ليس الجمال بُمثزرٍ

فاعلم وإن رديتُ برداً

إن الجمالَ معادنٌ

ومناقبٌ أورثن مجداً

والذي كان بمثابة إيضاح لرؤية الكاتب في أن المظهر لا يغني عن المخبر ، وهي أبياتٌ سبقها وتلاها أقوال مشهورة تؤكد وجهته نظر الكاتب التي أراد إيصالها إلى بعض الوزراء معاتباً .

فعملية التوظيف هنا جاءت مناسبة مع فكرة الرسالة ومؤكدة لها<sup>(٢)</sup> .

أما بيت عمرو بن معد يكرب الشهير الذي يقول فيه :

---

(١) انظر مبحث التوظيف الكلي للرسائل الإخوانية ، ص ٥٦ .

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب ، تحقيق : هاشم الطعان ، ص ٦٧ .

(٢) انظر مبحث التوظيف الكلي للرسائل الديوانية ، ص ٣٢ .

إذا لم تستطع شيئاً فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع<sup>(١)</sup>

والذي وظفه الكاتب ابن أبي الخصال في رسالة إخوانية سبقت الإشارة إليها .

قد بعث بها الكاتب مراجعاً للفقير أبي بكر بن العربي<sup>(١)</sup> حيث يشير الكاتب إلى حكمة عرف بها شاعرنا عمرو بن معد يكرب ولم يشير إلى جزء من شطر البيت بل استخدم الإشارة إلى اسم الشاعر حيث يقول في رسالته " فقبلت بأمر ابن معد يكرب ، وتركت العنقاء المغرب .. " (٢) .

ولكن السياق الذي سبق هذا التوظيف عبّر عما أراد الكاتب بأمر ابن معد يكرب وهو التعبير عما إذا لم تقدر على أمر فأتركه والتزم بما تقدر عليه ، وفي رسالته ما يؤكد صحة استشهاده بهذا الأمر في بيت الشاعر وهو قول الكاتب في رسالته " لا جرم أني بعد أن لثمت ثراها ، وقدستُ ورودها وسراها ، وقريتها من التعظيم قراها ؛ رمت الترفع عن مضمارها ، والتطلع في أنوارها .. " (٣) .

### ثالثاً : الفخر :

لقد أوضح لنا الشعر الجاهلي في كثير من المواضع اهتمام الشعراء الجاهليين نزعة الفرد العصبية التي كانت غالباً ما ترتبط بالقبيلة والمفاخر المتصلة بها والإشادة بالحروب والمعارك ووصف المآثر والتغني بها ، وكذا ما نلاحظه عند الشاعر المتلمس الضعبي ( الذي أبرز صورة الخال أكثر ما أبرزها في الفخر به والاعتداد والانتساب إلى قبيلة ، وإعلاء مكانته وآية ذلك ما

(١) الديوان ، ص ١٤٢ .

(١) هذا نموذج لبيت لم يوظف في ثنايا البحث ولكن الرسالة الإخوانية قد أدرجت توظيفات لها في ثنايا الرسالة . انظر مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ( الأنموذج السادس ) ، ص ٧٧ .

(٢) انظر رسائل ابن أبي الخصال ، ص ١٨٩ .

(٣) المصدر نفسه .

جرى مع أخواله إذ أساءوا إليه ونال منهم أذى ، وقد غيرَه بعض قومه بالسكوت على إساءتهم  
وأذاهم فقال يرد (١) :

ولو غير أخوالي أرادوا نقصتي

جعلت لهم فوق العرائن ميسماً (٢)

ف نجد أن الكاتب أبا عبد الله محمد بن الحداد استخدم هذا الغرض في الإبانة عن موقفه  
من انتقص قدره ومكانته ، وإن كانوا أقرب الناس إليه في رسالة وجهها جواباً عن كتاب  
عتاب ، فكان فخر الشاعر مناسباً لتوظيف الكاتب في رسالته ، ومعبراً عن الفكرة  
المقصودة (١) .

وعلى هذا النحو ما نلاحظ في رسالة الكاتب أبي عبد الله بن أبي الخصال (٢) :

حيث وظف بيت الشاعر امرئ القيس (٣) :

وكنا أناساً قبل غزوة قرمل

ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

فتجوز المعنى من عبارة الكاتب إلى بيت الشاعر بما يخدم المعنى ويعززه مع اختلاف  
المراد ؛ فالبيت يدل على الفخر وفي الرسالة نجد في عبارات الكاتب ما يدل على الأمل .

ولكن المناسبة بين المعنيين تفهم من سياق رسالة الكاتب مبتدأة

بقوله " وإلها لدعوة سعد ، وحبيب زار على غير وعد " (٤) .

(١) الإنسان في الشعر الجاهلي ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) ديوان المتلمس الضبيعي ، ص ٢٠٩ .

(١) انظر مبحث التوظيف الكلي للرسائل الإخوانية ، ص ٥٤ .

(٢) انظر مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية ، ص ٧٣ .

(٣) انظر ديوان امرئ القيس ، ص ٧٠ .

(٤) انظر رسائل ابن أبي الخصال ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

وهذا ما ناسب ذكر بيت الشاعر هنا ، ودلل على حسن استرفاد الكاتب لعبارات الشاعر بما يخدم رسالته ويحملها .

ومن الكتاب من دمج معنى الفخر في بيت الشاعر طرفة بن العبد مع التمدح بالكرم في قوله :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى

لا ترى الآدبُ فينا ينتقر<sup>(١)</sup>

بحيث مزج معنى الفخر مع الاعتذار عن الدعوة الخاصة التي وجهت إليه ، ومدح المرسل إليه بالكرم والإحسان ؛ وذلك لتقوية حجته وتعذره عن قبول هذه الدعوة . على نحو أضاف إلى الرسالة قوة في المعنى ودقة في التعبير عنه دون إسهاب أو إيجاز<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

ومما تقدم يتأكد للباحثة أن الكتاب الأندلسيين ، في رجوعهم إلى النتاج المشرقي الذي أعجبوا به ، وتفاعلوا معه ووظفوه في سياق رسائلهم مبينين عن مقدرتهم الفنية التي تلتقي فيها تجاربهم مع ما عرفوه من تجارب أسلافهم الإنسانية المتجددة ؛ إنهم بذلك تمكنوا من تطويع ثقافتهم لنثرهم فدعموه بها ، مضيفين إليه حرصهم على تأكيد الانتماء إلى الماضي المشرق ، عن طريق تقريب الموضوعات والمعاني والأفكار التي قصدوها من خلال ما تثيره الموضوعات القديمة من دلالات وصور في ذهن المتلقي .

---

(١) ديوان طرفة ، ص ٦٥ .

(٢) انظر مبحث التوظيف الجزئي للرسائل الديوانية ، ص ٤٦ .

## نتائج البحث :

بعد قراءة ودراسة طويلة لهذا النتاج الأدبي لأشهر كتّاب الأندلس ، وبعد هذا البحث في مضمار فنيات تعاملهم مع الرسائل وأساليب التوظيف فيها ، توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها :

- ١ - أهمية الرسائل الإخوانية والديوانية من حيث هي لونها أدبي يسهم في إيضاح صورة كتابها ، وإظهار قدراتهم الأدبية والفنية في التعبير عن مشاعرهم وعواطفهم الذاتية ، بمقدرة أدبية تنم عن ثقافة واعية .
- ٢ - ما رصدته هذه الرسائل من صورٍ مشرقة تعبر عن ربط الماضي بالحاضر المعاصر ، والعلاقة القوية بين أدباء الأندلس وأدباء المشرق العربي .
- ٣ - ما نفتته هذه الدراسة عن أي اتهام أهم به الكتّاب الأندلسيون - المذكورون في مضمار بحثي هذا على الأقل - عن كون أدهم مجرد احتذاء أو تقليد للمشاركة دون فهم أو وعي للمنقول ، وأنهم أسهموا بأدهم في إبراز صورة الكاتب الأندلسي وعلاقته الحقيقية بالتراث العربي الأصيل .
- ٤ - ما نتجت عن هذه الدراسة من تأكيدٍ لأهمية تنوع أساليب التوظيف ؛ بحسب ما يستدعيه النص من تحوير ، أو توظيف كلي ، أو جزئي . بما يسهل عملية إيصال الغرض للمتلقي ويقومها .
- ٥ - إن التوظيف على الرغم من اختلاف صورته وأشكاله كان وليد الحاجة ونبت البيئة ، وصورته المنعكسة وواقعها المتجسد في كثير من الرسائل الأندلسية النثرية .
- ٦ - أهمية النتاج الأدبي الأندلسي - النثري منه بالأخص - في القرن الخامس الهجري ،

- وصحة الدراسات التي أثبتت نشاط الحركة العلمية والفكرية فيه <sup>(١)</sup> .
- ٧- بدا للباحثة بعد إدامتها النظر في كثير من الرسائل أن فكرة الرسالة قائمة على خزين الشعر الجاهلي المثال من الذاكرة .
- ٨- كثرة الاهتمام بالشعر الجاهلي منه بالأخص عند كتاب هذا القرن ، والاهتمام بشعراء المعلقات مما يدل على عمق ثقافة كتاب هذا العصر .
- ٩- السهولة الممتعة في كثير من الألفاظ التي حوتها الرسائل الأندلسية التي تنم عن مقدرة الأديب العالية والتمكن من هذه الملكة القوية .
- ١٠- تنوع الأغراض الشعرية المستخدمة في الرسائل ، والموظفة بدقة وإتقان يتناسب مع موضوع الرسالة وفكرتها الأساسية ما بين حكمة ومدح ، وفخر ، ووصف وغيرها .
- ١١- السمو بالأغراض الشعرية الموظفة في رسائل هؤلاء الكتاب إلى معانٍ إسلامية خالدة كغرض المديح والفخر .
- ١٢- ما كشفت عنه الدراسة من الاهتمام بغرض الحكمة مما يدل على تشابه الذهنية العربية الواحد على الرغم من اختلاف العصور ومدى القرب في التأمل الواعي والعقلية السليمة ذات الحكمة الخالدة .
- ١٣- ما أبانت عنه دراسة الإخوانيات من العلاقات الحسنة بين العتاب وشخصياتهم المحبة الودودة لأصدقائهم وهي وثيقة مهمة لإبراز العلاقات الإنسانية بين كتاب القرن الخامس .

---

(١) فقهاء الأندلس وحركة الأدب عصري الطوائف والمرابطين (رسالة ماجستير) ، أمل محسن العميري ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

## التوصيات :

- ١- ضرورة قيام دراسة متخصصة تُعنى بدراسة الأدب الأندلسي بكافة أنواعه ، وألوانه ، وأهمها أدب الرسائل بوسائله المتعددة وطرقه المتنوعة ، للوقوف على أهم ملامح هذا الأدب الرائع ، والتعرف على أشهر أعلامه .
  - ٢- قيام دراسة مستقلة لأبرز الكتاب الأندلسيين تدرس أديهم وحياتهم وتبرز نتاجهم الأدبي .
  - ٣- قيام دراسة نقدية متخصصة تُعنى بالجماليات الفنية والأسلوبية لأدب الرسائل في الأندلس ، وتهتم بأبرز كتابه.
  - ٤- الاهتمام بظاهرة ( التوظيف ) كعلامة فارقة في الإنتاج الأدبي وتتبع عصور الأدب المختلفة ومدى إفادة اللاحق من السابق ، وأسلوب منمق في الكتابة تساعد على حفظ التراث وحسن استخدامه .
- هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ..

## فهرس المصادر والمراجع

- ◆ القرآن الكريم
- ◆ الإحاطة في أخبار غرناطة ، للسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) ، تحقيق : محمد عنان ، مج ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٥ م .
- ◆ إحكام ضعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس ، لأبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، ط ٢ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م .
- ◆ أدب السياسة في العصر الأموي ، لأحمد الحوفي ، دار النهضة ، مصر ، ط ٢ .
- ◆ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، لأحمد هيكل ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١٤ ، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨ م .
- ◆ الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، د. مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٧ ، ١٩٧٣ م .
- ◆ الأدب الجاهلي قضاياها وفنونه ، ونصوصه ، د. حسني عبد الجليل يوسف ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط ١٤٢١هـ/٢٠٠١ م .
- ◆ استيحاء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، لإبراهيم منصور الياسين ، عالم الكتب ، ط ٢٠٠٦ م .
- ◆ الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، أحمد الشايب ، مطبعة النهضة بالقاهرة ، ط ٦ ، ١٩٦٦ م .
- ◆ الأصمعيات ، تحقيق : أحمد شاكر عبد السلام هارون ، ط ٧ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٣ م .

◆ الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، د. سعد شليبي ، مكتبة غريب ، القاهرة ١٤٠٢هـ — /  
١٩٨٢ م .

◆ إعتاب الكتاب ، لابن الأثير - أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي  
المعروف بابن الأثير - (ت ٦٥٨هـ) ، حققه : د. صالح الأشر ، مطبوعات مجمع اللغة  
العربية ، دمشق ، ط ١ ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١ م .

◆ الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر رجال ونساء العرب والمستشرقين في الجاهلية والإسلام ،  
والعصر الحاضر ، لخير الدين الزركلي ، ج ٥ ، ج ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ،  
ط ٤ ، ١٩٧٩ م .

◆ تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين ، د. إحسان عباس ، الناشر : دار  
الثقافة ، بيروت - لبنان ، ط ٧ و ٥ ، ١٩٧٨ م .

◆ تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٨ ،  
١٩٦٦ م .

◆ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ،  
ط ٨ ، ١٩٦٦ م .

◆ تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية ، لمحمود المقداد ، ط ١ ، دار الفكر ،  
دمشق ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م .

◆ تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام ، لمحمود المقداد ، دار الفكر ، دمشق ،  
١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م .

◆ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، لمحمد رضوان الداية ، ج ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،  
١٤٠١هـ / ١٩٨١ م .

- ◆ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، تقديم وتحقيق : د. حفي محمد شرف ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ .
- ◆ تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي ، لأنيس المقدسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٦ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .
- ◆ تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس ، لمصطفى عليان عبد الرحيم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- ◆ جماليات القصيدة المعاصرة ، د. طه الوادي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤م .
- ◆ جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهية العصر الجاهلي و صدر الإسلام ، لأحمد زكي صفوت ، ط١ ، القاهرة ، مطبعة الباني ، ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م .
- ◆ خزانة الأدب ولباب لسان العرب ، لعبد القادر بغداددي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج١ ، ط٢ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
- ◆ ديوان ابن الرومي ، تحقيق : عبد الأمير علي مهنا ، منشورات دار الهلال ، بيروت ، ط١١٤١هـ/١٩٩١م .
- ◆ ديوان ابن زيدون ، بشرح محمد سيد كيلاني ، القاهرة ، ط١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- ◆ ديوان ابن مقبل ، تحقيق : د. عزة حسن ، مطبوعات دار إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .
- ◆ ديوان الأعشى ، شرح عبد الرحمن مصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
- ◆ ديوان الحارث بن حلزة اليشكري ، جمع إميل يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

- ◆ ديوان الحُطَيْبَة ، شرح ابن السُّكَيْت ، (ت ١٨٦ ، ٢٤٦هـ) ، تحقيق : د. نعمان طه ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- ◆ ديوان المتلمس الضبعي ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، برواية الأثرم ، وأبي عبيدة عن الأصمعي ، معهد المخطوطات ، القاهرة ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- ◆ ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ .
- ◆ ديوان الهذليين ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، الناشر : الدار القومية ، القاهرة ، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
- ◆ ديوان امرؤ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ٥ .
- ◆ ديوان تأبط شراً ، جمع : علي ذو الفقار شاكر ، دار إحياء التراث القديم ، دمشق ، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م .
- ◆ ديوان حاتم الطائي ، تحقيق : جمال سليمان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .
- ◆ ديوان دريد بن الصمّة ، جمع : محمد البقاعي ، دمشق ، دار قتيبة ، ط ١ ، ١٤١١هـ/١٩٨١م .
- ◆ ديوان زهير بن أبي سُلمى ، شرح الأعلام الشنتمري ، تحقيق : فخر الدين قبارة ، بيروت ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .
- ◆ ديوان طرفة بن العبد ، شرح الأعلام الشنتمري ، تحقيق : درية الخطيب ، ولطفي الصقال ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
- ◆ ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، تحقيق : د. هاشم الطعان ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، بدون م.ط . وديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، تحقيق : المطاع الطرايشي ، دمشق ، الناشر : مكتبة المؤيد بالرياض ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

- ◆ ديوان عنتر بن شداد ، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، ط ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، بدون م. ط .
- ◆ ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ، ط ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- ◆ ديوان النابغة الجعدي ، تحقيق : عبد العزيز رماح ، منشورات المكتبة الإسلامية ، دمشق ، ط ١ ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .
- ◆ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق : د. إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٧٢م .
- ◆ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشتريني (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق : إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ط ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ◆ رايات المبرزين وغايات المميزين ، لابن سعيد الأندلسي ، تحقيق : د. نعمان عبد المتعال القاضي ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- ◆ الرسائل الديوانية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر المضمون والأهمية من حيث الشكل ، لعبد الحليم هروط ، ط ١ ، دار جرير ، عمان - الأردن ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م .
- ◆ الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، لمحمد الدروي ، دار الفكر ، عمان ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩١م .
- ◆ رسائل عبد الله بن أبي الخصال ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر العربي ، دمشق ، ط ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ◆ رسائل ومقامات أندلسية ، لفوزي عيسى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، بدون ت. ط .
- ◆ الروض المعطار في خبر الأقطار ، لمحمد الحميري ، تحقيق : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط ١ ، ١٩٧٥م .

- ◆ رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، الدمشقي ، إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
- ◆ زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبي إسحاق المصري القيرواني ، تحقيق : د. زكي مبارك ، ج ٢ ، مطبعة الرحمانية ، مصر ، ط ١ .
- ◆ السرقات الأدبية دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها ، لبدوي طبانة ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
- ◆ شرح المعلقات السبع ، للزوزني ( أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني ) ، القاهرة ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .
- ◆ شرح المعلقات العشر ، للخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
- ◆ شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع : داود سلوم ، ج ١ ، بغداد ، مكتبة الأندلس ، ط ١٩٩٦م .
- ◆ الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء ، د. محمد محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ، ط ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .
- ◆ الشهاب في الشيب والشباب ، للشريف المرتضى ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- ◆ الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكري ( الحسن بن عبد الله بن شهل العسكري ) ( ت ٣٩٥هـ ) ، تحقيق : علي البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨١م .
- ◆ ظاهرة التعالق النصي ، د. علوي هاشمي ، كتاب الرياض ، ع ٥٢ ، ٥٣ ، إبريل ١٩٩٨م .

- ◆ عناصر الإبداع في شعر عنتره ، د. ناهد شعراوي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط ١٩٩٦ م .
- ◆ عيار الشعر ، لابن طباطبا ، (ت ٣٢٢هـ) ، تحقيق : طه الحاجري ، محمد زغلول سلام ، القاهرة ، ط ١٩٥٦ م .
- ◆ في الشعر الجاهلي ، تحليل وتذوق : د. إبراهيم عوض ، القاهرة ، ط ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م .
- ◆ القاموس المحيط ، للعلامة يعقوب الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .
- ◆ قراءة في الأدب القديم ، د. محمد محمد أبو موسى ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٨ م .
- ◆ قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، لابن خاقان ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، تحقيق : حسين حربوش ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩ م .
- ◆ لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، (ت ٧١١هـ) ، ج ٩ ، دار صادر ، بيروت .
- ◆ مجمع الأمثال ، للميداني ( أبو الفضل محمد بن أحمد النيسابوري ) ، (ت ٥١٨هـ) ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٣ ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢ م .
- ◆ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مج ٤ ، دار صادر ، بيروت .
- ◆ مشكلة السرقات في النقد الأدبي ، دراسة تحليلية مقارنة ، د. مصطفى هدارة ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠١هـ .
- ◆ المعجم الأدبي ، لجبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .
- ◆ معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام هارون ، ج ٦ ، مطبعة الحلبي ، دمشق ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ .
- ◆ المغرب في حلى المغرب ، لابن سعيد علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت ٦٨٥هـ) ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٥٥ م .

- ◆ المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي (ت ١٧١هـ) ، تحقيق : أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١٠ ، ١٩٩٤ م .
- ◆ مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن محمد بن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م .
- ◆ ملامح التجديد في النثر الأندلسي في القرن الخامس ، لمصطفى السيوفي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ م .
- ◆ من قضايا الشعر والنثر ( في النقد العربي القديم والحديث ) ( نظرية الأدب ) ، د. عثمان موافي ، الإسكندرية ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، ط ١ ، ١٩٨٠ م .
- ◆ المنصف في نقد الشعر ، لابن وكيع ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دمشق ، دار قتيبة ، ط ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م .
- ◆ موسوعة شعراء الأندلس لعبد الحكيم وائلي ، دار أسامة ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- ◆ النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس مضامينه وأشكاله ، لعلي بن محمد ، ج ١ ، ج ٢ ، دار الغرب ، ط ١ ، ١٩٩٠ م .
- ◆ النثر الأدبي في عصر الطوائف والمرابطين ، لحازم عبد الله خضر ، دار الرشيد ، العراق ، ط ١٩٨١ م .
- ◆ النثر الفني في القرن الرابع ، لزكي مبارك ، ج ١ ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط ٢ .
- ◆ النص الشعري وآليات القراءة ، لفوزي عيسى ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ط ١٩٩٣ م .
- ◆ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم علي محمد البجاوي ، ط ٣ ، دار إحياء الكتب العربية .
- ◆ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق : د. يوسف علي طويل ، د. مريم قاسم طويل ، مج ٣ ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١٤١٩هـ/١٩٩٨ م .

## المجلات والدوريات

- ◆ بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين المنعقد في مكة في الفترة من (٥-٧) شعبان ١٤١٩هـ ، ج ٣ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ط ١ . بحث بعنوان ( التداعيات النصية وتحليلاتها في الشعر السعودي ).
- ◆ بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين المنعقد في مكة في الفترة من (٥-٧) شعبان تحت عنوان ( الشخصية التراثية في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية ) د. جريدي سليم المنصوري ، ج ٢ ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ◆ مجلة فصول ( توظيف التراث في شعرنا العربي المعاصر ) ، لعلي بن عشري زايد ، مج ١ ، ع ٢ ، أكتوبر ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

## الرسائل الجامعية

- ◆ الرسائل الإخوانية عند كتاب الأندلس في القرن السادس الهجري محاورها المضمونية ، وسماتها التشكيلية ( رسالة ماجستير ) للباحثة ابتسام الصبحي ، ١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى .
- ◆ الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ( رسالة ماجستير ) للباحث غانم جواد رضا ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥م - ١٩٧٦م .
- ◆ ديوان الإنشاء في مصر والشام في القرن السادس وأثره في تطور الأساليب النثرية ، رسالة دكتوراه / عايش سعد الحارثي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

## فهرس المد ويات

الصفحة	الموضوع
٦- ٣	المقدمة
٨	التمهيد
١١- ٨	أ - معنى التوظيف
١٤ - ١١	ب - جذوره
١٨ - ١٤	ج - أنواعه
٤٩ - ١٩	<b>الفصل الأول</b> : الرسائل الديوانية التوظيف الكلي والجزئي
٣٠ - ٢٣	المبحث الأول : التوظيف الكلي للرسائل الديوانية .
٥١ - ٣٢	المبحث الثاني : التوظيف الجزئي للرسائل الديوانية .
٩٤ - ٥٠	<b>الفصل الثاني</b> : الرسائل الإخوانية التوظيف الكلي والجزئي .
٦٤ - ٥٤	المبحث الأول : التوظيف الكلي للرسائل الإخوانية .
٩٤ - ٦٦	المبحث الثاني : التوظيف الجزئي للرسائل الإخوانية .
١٣٩ - ٩٥	<b>الفصل الثالث</b> : أثر توظيف البيت الشعري في الكاتب والمضمون .
١٠٠ - ٩٧	المبحث الأول : أسباب تعلق الكاتب بالشعر الجاهلي .
١٠٧ - ١٠١	المبحث الثاني : أسباب التوظيف
١١٧ - ١٠٩	المبحث الثالث : سمات التوظيف في التشكيل البنائي للرسالة .
١٢٨ - ١١٨	المبحث الرابع : الأثر الموظف بين الإيجابية والسلب .
١٣٩ - ١٣٠	المبحث الخامس : الأغراض التي وظفها الأندلسيون في رسائلهم .
١٤٠	الخاتمة
١٤٢	التوصيات
١٥١-١٤٣	فهرس المصادر والمراجع
١٥٢	فهرس المحتويات
١٥٣	ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية

## **Abstract**

**Title:** (Employment of Pre-Islamic Poetry in Dawaini and Ikhwani Poetic Messages of **AL-ANDALUS**- Andalusia (Currently Spain)in the Fifth Hijri Century)

This research is submitted to postgraduate studies Department at the Arabic Language College of Umm Al-Qura University –Makkah for obtaining a MASTERS' Degree in Arabic Literature.

**Researcher's name:** Reem Salih Ali AlGhamdi

Praise be to Allah, blessing and peace be upon the Messenger of Allah, Master of Messengers and those who followed him with benevolence till the Day of Judgment.

**Topic Plan: Preamble:** Meaning of employment

A- What is the definition of employment?

B- Roots of employment.

C- Kinds of employment

**Chapter one:** Daiwani Poetic Messages- Partial and whole employment

Section One: Whole employment

Section Two: Partial employment

**Chapter Two:** Al-Ikhwaniah Poetic Messages – Partial and whole employment

Section One: Whole employment

Section Two: Partial employment

**Chapter Three:** Effect of Employment Poetic Verse on writer and content

Section One: Reasons for writer's attachment to pre-Islamic poetry

Section Two: Employment reasons

Section Three: Employment Features in the constructional formation of the Message

Section Four: Employed impact- Positive and negative aspects

Section Five: Purposes employed by People of Andalus in their Messages, conclusion and most significant results

**Objective::**

This study aims at giving attention to employment phenomenon and its effect on Daiwini and Ikhwani Poetic Messages in Andalusia. This was done by the study of ample number of Messages with a view to elucidating employment impact and the various usages of writers as well as their consequent concern with the eastern heritage

**Results:**

The most significant result of this research was the impression displayed by Andalusia writers as well as their concern with the eastern heritage and the good selection of distinctive poetic verses in their prose Poetic Messages. The other result focuses on the appearance of the personality of the Andalusia writer in enriching the poetic verse as well as associating it closely with the purpose of the Poetic Message.

**Recommendations:**

The study recommends the concern with the employment phenomenon- its kinds as well as employment of proverbs, personalities and verses. Other recommendation is to give concern to the Andalusia prose in general and to the Poetic Message literature in particular.